أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة

الدكتور/ محمد نعيم ياسين *

لا تستحقُّ أمّةٌ من الأمم أن تُسَمّى مجاهِدةً إلا إذا تحصّل لها مؤهّلان :

المؤهل الأول : الدوافعُ القويةُ التي تدفع الأمةَ لمقاومة الشر والباطل ، بشرط أن تكونَ هذه الدوافعُ مستمّرة لا يوقِفُها إلا مفارقةُ هذه الحياة الدنيا ، وأن تكونَ شاملةً لا تقتصرُ على فرد أو جماعة دون بقيّة الأمّة .

المؤهل الثاني : الأخلاقُ الجهاديّةُ ، التّي تضبطُ عمليّة الجهاد ، وتحافظُ على استمراريّتها حتى توصلَ إلى الغايات المنشودة .

والحق الذي لا يماري فيه منصف أن التاريخ لم يعرفْ ولن يعرفَ دينا ولا منهجا يستطيع أن يؤهّل أمة بهذين المؤهلين على أكمل وجه ، كما يفعلُ ا لاسلامُ بأتباعه وجنوده .

وتعودُ هذه الحقيقةُ إلى أنَّ منهجَ الاسلام في تكوين الأمّة الجهاديّة منهجٌ من عند الله العليم الحكيم ، الذي يعلم ، وحده ، طاقاتِ الانسان ، ويستطيعُ أن يستثيرَها ويربّيهَا ويوجّهَها نحو تحقيق أسمى الأهداف وأكرم الغايات :

فأمّا المؤهّلُ الأوّلُ : وهو الدّافعُ القويُّ للجهاد ومقاومةِ القوى الشّرّيرة في هذا العالم فقد تكفلّت به في الاسلام عقيدةٌ ربانيّة ، تستثير ارادة الجهاد المستمرة ، التي لا يوقفها ولا يحدُّ منها إلا الموت الذي يُنْهي الامتحان ، ويفتحُ صفحة الحساب والجزاء .

---

* يشغل وظيفة استاذ مساعد في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ـ جامعة الكويت .
حصل على شهادة الدكتوراة سنة ١٩٧٢م . من جامعة الأزهر ، له جملة من المؤلفات أهمها :
ـ الايمان .
ـ الجهاد .
ـ افتراءات حول غايات الجهاد .
ـ الوجيز في الفقه الجنائي الاسلامي .
ـ حجية الحكم القضائي بين الشريعة والقوانين الوضعية .

وأمّا المؤهّلُ الثّاني : وهو أخلاقُ الجهاد ، فقد تكفلت به تربيةٌ ربـانّيةٌ للفـرد المسلم والجماعة المسلمة ، بصورة عميقة وشاملة .

وبناء على هذا التّقسيم المنطقي للمؤهّلاتِ الجهاديّة نتناول موضوع البحث في فرعين ، نخصّصُ الأوّلَ منهما لبيان أثر العقيدة الاسلامية في تكوين الشخصية الجهادية ، ونخصّصُ الفرع الثانيَ لبيان أثر التربية الاسلامية في تكوين تلك الشخصية .

وسنجعل الفرع الأول ـ بإذن الله تعالى ـ في خمسة مطالب :

المطلب الأول : في أثر الايمان بالله تعالى في تكوين الشخصيّة الجهاديّة .

المطلب الثاني : في أثر عقيدة الايمان بالرّسول عليه الصّلاة والسّلام .

المطلب الثالث : في أثر عقيدة الايمان باليوم الآخر .

المطلب الرابع : في أثر عقيدة الايمان بالقدر .

المطلب الخامس : في أثر بعض العقائد والتصوّراتِ الاسلاميّةِ الأخرى .

وسنجعل الفرع الثاني من هذا البحث في مطلبين اثنين ، إن شاء الله تعالى :

الأول ـ في الأخلاق الجهادية الفردية التي تثمرها التربية الاسلامية .

الثاني ـ في الأخلاق الجهادية الجماعية التي تثمرها تلك التربية .

الفرع الأول
أثرُ العقيدةِ الاسلاميّةِ في تكوينِ الشّخصيّةِ الجهاديّةِ

نقصدُ بالعقيدة الاسلاميّةِ جميعَ القناعات العقليّةِ والقلبيّةِ الجازمة ، التّي يزرعُها الاسلامُ في قلوب أتباعِه ، عن الخالق عزّ وجلّ ، وصفاتِه وأفعاله ، وعن الانسانِ ، وعلاقتِه بـربِه ، ووظيفتِه ، ومركزِه ، ومصيرِه ، وعن الآخرةِ وما سيكون فيها من حسابٍ وجزاءٍ وثوابٍ وعذاب ، وتصوراتٍ اسلاميّةٌ أخرى عن أمورٍ وقضايا مهمّةٍ في حياة الانسان .

إن أركان الايمان كلّها تتكاتفُ في تكوينِ أعظمِ الدوافع في القلوب المؤمنة للانطلاق والجهاد ، والدفاع والهجومِ والتّصدّي لجميع القوى المعادية . ولبيان هذه الحقيقة نخصّصُ المطالبَ الخمسةَ الآتية :

المطلب الأول
أثر عقيدة الايمان بالله عز وجل

لعقيدةِ الايمان بالله عزّ وجلّ أعظمُ الأثرِ في تكوين الشخصيّةِ الجهاديّة للفرد المسلم ، والجماعة المسلمة . ويظهر ذلك من عدة جهات :

١ ــ أنَّ حقيقةَ الايمان بالله عزّ وجلّ تعني تحقيقَ العبوديّةِ الكاملة له سبحانه ، والتحرّرَ من كلِّ عبودية لسواه . وجوهرُ العبودية للرب حبُّه وحبُّ رسولِه صلى الله عليه وسلم . ويعني هذا الحبُّ أنْ يحبَّ المؤمنُ ما يحبُّه الله تعالى ، وأن يبغضَ ما يبغضهُ الله عزّ وجلّ . وعلامةُ الأولى ـ طاعةُ الله واتّباعُ الرسول . وعلامةُ الثانية ـ محاربةُ الذين يحادّون الله ورسولَه ؛ لأنّ أساسَ المحبّةِ موالاةُ المحبوب والبراءةُ من أعدائِه ، وقد كَذَبَ أدعياءُ الايمان الذين لا يطيعون الله ورسوله ، وكَذَبَ أدعياءُ الايمان الذين لا يجاهدون أعداءَ الله وأعداءَ الرسول[١] .

وهذا هو منطلقُ الجهاد في الاسلام : إنه ملاحقةُ منْ يكرهُهُم الله ويكرهُ أعمالَهم حتى يثوبوا إلى رشدهم ، أو تكسر شوكتُهم ، وليس مجرّدَ الدّفاعِ عن بعض المكتسباتِ الدنيوية ، كما يقول بعض الكتاب المعاصرين .

وبذلك يتّضحُ أنَّ جهادَ الباطلِ والمنكرِ ، ومحاربةَ أعداءِ الله في الأرض ، وابطالَ أساليبهم في الصدّ عن سبيل الله ، كل ذلك ثمراتٌ أكيدةٌ للصدق في العبودية لله عزّ وجلّ[٢] .

وأما الشّطرُ الثاني من معنى الايمان بالله ، وهو التحرّرُ من العبوديّة لغير الله عز وجل ، فإنّ له أعظمَ الأثرِ في تحصين المجتمع المسلم من المصايدِ الشهوانية ، التي ينصبُها الأعداءُ لأبناءِ الأمّة الاسلامية ؛ ذلك أنَّ منْ رضيَ أن يكونَ عبدا لله تحرّرَ من جميع المؤثراتِ والضغوطِ الدنيويّةِ التي اعتاد أعداء الأمة على استعمالها شباكا يصطادون بها العملاء لهم والخونة ؛ لأنَّ الوقوع تحت هذه المؤثراتِ يتنافى مع صدقِ عبوديتهِ لربّه . أما الذين يرفضون العبوديّةَ لخالقهم ، فهم نقطةُ الضّعفِ التي تنفذُ منها جراثيم الخيانة إلى جسم الأمة ؛ لأن هؤلاء سيقعون في أسر شهواتهم وأهوائهم وغرائزهم ، فيصيرون أسهلَ فريسة للأعداء ؛ يتخذون منهم الجواسيس والأولياء . والحقُّ أن جميع البلاءِ الذي أصاب أمتنا وحلّ بديار الاسلام كان وما يزالُ على أيدي هؤلاء الأسارى لشهواتِهم ، من عبيد الدرهم والدينار ، وعبيدِ المركز والجاه والسلطان ، ممن رفضوا العبوديّةَ لله عزّ وجلّ ، فصاروا عبيدا للدنيا وزينتِها . فلما عرف العدوُّ هؤلاء المرضى ، وأدرك ما يعبدون من الشهوات ، عرض عليهم قسطا وافرا منها ، فأسالَ لعابَهم ، فساومَهم على أوطانِهم وأهلِهم وأعراضِهم ، فدفعوها أثماناً لما يطلبون من المراكز وزينة الحياة الدنيا ، فاتخذ منهم عملاء وخونةً وجواسيسَ ، وفرض عليهم مناهجَ وشروطا ، فأطاعوه مقابلَ ما يضمنُ لهم من الهوى ، وكانوا وَبالاً على أمتهم ودمارا .

أما المؤمنون الصادقون ، فانّهم الرافضون الحقيقيون للدّخولِ تحت سيطرة العدو ؛ لأنهم يرون ذلك كفرا بالله ، الذي لا يقبلُ منهم عبوديّةً لسواه ، ولا موالاةً لغيره وغير رسوله

والمؤمنين ؛ ولأنهم يرون الدنيا كلَّها بما فيها من زينة وشهوات لا تعدلُ عند الله جناحَ بعوضة[٣] ، فكيف يبيعون جنّةً عرضها السّمٰواتُ والأرضُ بجناحِ بعوضة أو أحقرَ منها ؟ إذن فأنّى للعدوِّ أن ينفذ إليهم أو يتّخذ منهم أولياء وعملاء ، وهم يحتقرونه وما يملك ، ولا يرونَ عنده شيئاً أثمن من جناح بعوضة ؟

ولعلّنا بهذا نستطيعُ أن ندركَ جيدا التّفسيرَ الصحيحَ لصنيعِ المستعمرين في بلادِ الإسلام ، التي ابتليت بهم ؛ حيث اجتهدوا في صرف المسلمين عن الله عزّ وجلّ ، وعن دينه القويم ، ونثروا بين أيديهم من شهواتِ الدنيا وفتحوا لهم أبوابَها ، وأوهموهم أنّها سببُ تقدمِّهم وانتصاراتهم ، ودعموا في شبابهم كلَّ نظريةٍ أو فكرةٍ تبعدُهم عن ربّهم وتثيرُ فيهم غرائزَ الحيوان وتصرفُهم عن كلّ فضيلة أو خلق كريم ؛ يؤيد هذا الفهم ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون ؛ حيث يظهرُ بوضوح أنّهم اعتمدوا على رأسِ خططهم في تحطيم طاقات الشعوب نشرَ الشهوات والمفاسد ، وصرفَ الناس عن الفضائل والأخلاق الكريمة[٤] .

هذه هي خطّةُ الكفار في بلادنا ؛ خطةٌ تقوم في أساسها على تشجيعِ التفسّخ الخلقي وعبادةِ اللّذة واشاعةِ الفاحشة ، ومطاردةِ المثل والقيم الاسلامية ، والدعاةِ إليها ؛ لأنّهم يعلمون أن أصحابَ الخلقِ والتّقوى فيهم مكمن الخطر عليهم ، وهم العقبةُ الكؤودُ أمام أطماعِهم . لقد قدم الجنرال غورو عام ١٩١٨ لاحتلالِ لبنان ، وكان معه جيشٌ لجبٌ ، وبصحبة هذا الجيش باخرةٌ كبيرةٌ مليئة بالبغايا ، فقيل له : وظيفةُ هذا الجيش المقاتل مفهومة ، فما بال هذا الجيش الآخر ؟ فأجابهم : بهذا الجيشِ ننتصرُ على أعدائنا قبل الجيشِ المقاتل[٥] .

وفي الاتجاه نفسه يقول المبشّرُ الصليبي ـ رئيس جميعات التبشير ـ صموئيل زويمر ، في أحد مؤتمرات التبشير : (إنّ مهمّةَ التبشير التي ندبتكم دولُ المسيحية للقيامِ بها في البلاد المحمّديّة ليست في إدخال المسلمين في المسيحية ؛ فإن هذا شرف لا يستحقونه ، إن مهمتكم أن تُخرِجوا المسلمَ من الاسلام ليصبحَ مخلوقا لا صلةَ تربُطه بالأخلاقِ التي تعتمدُ عليها الأممُ في حياتها ، وبعملكم هذا تكونون طليعةَ الفتح الاستعماريّ في الممالك الإسلاميّة ، لقد هيأتم جميعَ العقولِ في تلك الممالكِ لقبولِ السّيرِ في الطّريق الذي سعيْتُم له ، وهو إخراج المسلم من الاسلام ؛ إننا نريدُ أن تُعِدّوا جيلا مطابقا لما أراده له الاستعمارُ ، جيلا لا يهتمُّ بعظائم الأمور ، ويحبُّ الرّاحةَ والكسل ، ويسعى للحصولِ على الشّهواتِ بأيّ أسلوب وتصبحُ الشهواتُ هدفَه في الحياة ؛ إن تعلّمَ فللحصولِ على الشّهوات وإذا جمع المالَ فللشّهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيلِ الشّهوات ويجود بكلِّ شيء في سبيلِ الشّهوات ، أيها المبشرون : إنّكم إن فعلتم ذلك كانت مهمتكم تتم على أكمل الوجوه)[٦] .

٢ ــ ذاك جانبٌ من جوانب القّوة في عقيدة الايمان بالله عزّ وجلّ ، وَنِعَمُ هذه العقيدة أجلُّ من أن

تُحْصَى ، وهناك جانبٌ آخرُ لا يقلُّ عّما تقدّمَ ذكره في أثره وفاعليته ، وهو جانب الثقة ، الّتي لا يكون نصر بدونها أبدا ، إنّه السّلاحُ الذي يُعوّضُ وجودُه عن قلّةِ السّلاح المادّي ولا يُعَوّضُ عن وجودِه أيُّ سلاحٍ ماديّ ؛ حيث يرى العسكريّون أنَّ قوّةَ الرّوحِ المعنويّةِ هي أساسُ الانتصار في المعارك ، وأنّه لا قيمةَ لأيّ جيش ، مهما كان ضخما في عدَدِه ، ودقيقاً في تنظيمِه ، وممتازا في تسليحه ، مالم تكن معنوياتُـه عاليـةً ، ويقولـون : إن الجيشَ الايطاليّ كان في الحرب العالميّةِ الثّانيةِ مجهّزاً بأحدث الأسلحة ، وأشدِّها فتكا آنذاك ، وكانَ تنظيمُه في غايةِ الدّقّة ، ولكن معنوّياتِه كانت منحطّةً إلى درجة كبيـرة ، فأصبح عبئا ثقيلا على الألمان ؛ حتى كان الحلفاءُ يُطلِقون على المواقـع التي يَحتلُّها الايطاليّون تعبيرَ الفراغ العسكري ؛ لأنهم كانوا يستسلمون دون قتال ، كلما حاقَ بهم خطرٌ حقيقيا كان أو وهميا(٧) .

وإذا كانت هذه مُسَلَّمةً من المُسَلَّماتِ العسكرية ، فالسؤال الذي يَرِدُ : ما ينابيعُ هـذه الروح ؟ وما مصادرُ قوّتها ؟ وما غذاؤها الذي يُنمّيها ويحافظُ عليها ؟

والقاعدة العامة ، أنَّ المصدرَ الذي يُمِدُّ الرّوحَ بقـوّتها ، والغـذاءِ الذّي يُحـافظُ على استمراريّة علوّها هو : الثّقةُ بقوةِ الحال ، والثّقةُ بالفوز في المال :

فأما الثقة بقوة الحال ، فهي ثمرة للثقة بقوة النصير ، وأحقية الغايات .

وأما الثقة بربح المال ، فهي فرع عن تصور عظم المكافأة التي ينالها المقاتل ، مهما كان المصير الذي سيؤول إليه ، وعن قدرة المكافيء على الإحسان والعطاء الجزيل .

فإذا كانت هذه هي منابع القوة في الروح ، ومصادر الإمداد لها فإن الحق الذي لا مراء فيه أنه لا يتحصل لانسان في الدنيا من هذه المنابع والمصادر مثلما يتحصل للمؤمن بالله العلي القدير ، وبصفاته الجليلة ، وأسمائه الحسنى ، وأفعاله الحكيمة : فأما الثقة بقوة الحال فان للمقاتل المؤمن منها أوفر نصيب ؛ لأنه يثق أنه يركن في معاركه إلى أعظم قوة ، ويأوي إلى حمى ملك لا يضام ، بيده أعناق الجبابرة ، ومصائر الطغاة ، خالق كل شيء ، وواهب القوة لمن يشاء ، ومسخر كل شيء لما يريد : إنه يثق بقوة الله العزيز الجبار ، ويثق أنها محيطة بكل قوة وكل جبروت ، ويثق بوعد الله ؛ حيث جعل نصره لناصريه ، المجاهدين لاعلاء كلمته ، وأن جنوده مسخرة لأوليائه ، ولله جنود السنوات والأرض : ملائكة ورياح وظروف وتسديد وتصويب وسكينة يقـذفها في قلوب عبـاده ، ورعب يقذفـه في قلوب الأعداء . فهـو يؤمن أنه ليس وحـده في صراعـه مع الكفـار والأشرار ، وإنما يمده أقوى الأقوياء ، فهو لا يركن إلى كثرة عدد ، ولا إلى وفرة قوة ، وإن كان لا يهملها ، ولكنه لا يتكل عليها ، فلا يضعف عزيمته كثرة عدوه أو مضاء أسلحته ، فهو عند قول ربه ﴿ **الذِينَ قال لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكمْ فاخشوهم ، فزادهم إيَماناً وقَالوا : حسبنا الله**

ونعم الوكيل ﴾ آل عمران / ١٧٣ ، وحاله دائما كما يقول الشاعر المؤمن :

ما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل

ولقد كانت هذه الثقة بالله مصدر طاقة عظيماً في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم ؛ فكانت باعثهم ودافعهم على الثبات في الجهاد ، مهما كانت أعدادهم قليلة ، ومهما كانت أعداد عدوهم وعدده كثيرة .

ففي إحدى المعارك التي خاضوها مع الروم قال بعض المسلمين ، وقد رأوا جمعا عظيما ، أعده الروم ونصارى العرب لقتالهم : إنه قد حضركم جمع عظيم ، فإن رأيتم أن تتأخروا ، ويكتب إلى أبي بكر ، فيمدكم ، فقال هشام بن العاص رضي الله عنه : إن كنتم تعلمون أنما النصر من عند العزيز الحيكم ، فقاتلوا القوم : وان كنتم تنتظرون نصرا من عند أبي بكر ، ركبت راحلتي حتى ألحق به ، فقالوا : ما ترك لكم هشام بن العاص مقالا : فقاتلوا قتالا شديدا ، وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل هشام بن العاص ، وهزم الله الروم ، فمر رجل بهشام وهو قتيل ، فقال : رحمك الله ، هذا الذي كنت تبغي[٨] .

وفي يوم مؤته كان المسلمون ثلاثة آلاف رجل ، ولما وصلوا الى معان (بلدة في جنوب الأردن) بلغهم أن هرقل نزل في مؤاب في البلقاء في مئة ألف جندي من الروم ، وانضم إليه من نصارى العرب مئة ألف آخرون ، فقال بعض المسلمين : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا ، فإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له ، فقام عبد الله بن رواحه ـ رضي الله عنه ـ وخطب الناس فقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون ، إنها الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحه[٩] .

إنّ هذه الثقة بالله ونصره ، وهذه العقيدة بأن النصر من عند الله وحده ، هي التي حمت أمتنا في الماضي من السقوط في أحضان الأمم الكافرة ، الشرقية أو الغربية ، فقد شرد المسلمون في أول أمرهم ، وهم في مكة المكرمة ، واضطهدوا ، فلم يطلبوا العون من الفرس ، ولا من الروم . وفي الأعوام الأولى بعد قيام دولة الاسلام في المدينة المنورة ، حيث كان المسلمون في ضيق شديد : بين الأحزاب الكافرة خارج المدينة ، واليهود والمنافقين في داخلها ، والجميع يتآمر عليهم ، ويمكر بهم فلم يقبل قائدهم عليه الصلاة والسلام أن يستعين بكافر واحد سواء أكان مشركا أم من أهل الكتاب ، ولقد عرض عليه ـ قبيل أحد ـ بعض اليهود بعد أن جمعوا أنفسهم في كتيبة منظمة ، فرفض الاستعانة بهم رفضا قاطعا[١٠] . هذا في الوقت الذي كان أبو عامر الراهب يستعدي الروم على بني قومه ، ويشيد له المنافقون مسجد الضرار ، وهو يمنيهم بأنه سيقدم بأعوان من الروم يحتلون البلاد ، وينتصرون على المسلمين[١١] .

وإنما افترق هذان الصنفان من الناس بما سكن في القلوب من العقائد : فتميز جند الله بالثقة بربهم ، والتوكل عليه ، وطلب العون منه دون غيره ، والاستغناء بما عنده سبحانه عن المخلوقات جميعها . وانحدر المنافقون بخلو قلوبهم من تلك العقائد ، وعدم الثقة بربهم ، وتوكلهم على غيره سبحانه .

إن تلك العقيدة القوية ، وما تبعثه في القلب من الروح المعنوية العالية لهي التفسير الوحيد لتلك البطولات الخارقة والشجاعات الفائقة ، التي امتلأ بها تاريخ أمتنا في حقبة من الزمان تميزت بربانية أهلها ، وتشربهم عقائد الاسلام في قلوبهم ؛ حيث كانوا يخرجون من بيوتهم ساعين إلى الموت سعيا ، طالبين الشهادة في سبيل الله تعالى ، فإذا حمي الوطيس باعوا نفوسهم لربهم ، واحتقروا الموت وتحاملوا على جراحاتهم ، وتخلصوا من آلامها باستشعار لذة الطاعة للرب والأمل برضوانه سبحانه ؛ روى ابن اسحق عن معاذ بن عمرو بن الجموح قال : سمعت القوم وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص اليه ، فجعلته من شأني ، فصمدت نحوه[١٢] ، فلما أمكنني حملت عليه ، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقة ، وضربني ابنه عكرمه على عاتقي فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني (أي غلبني واشتد علي) القتال عنه ؛ فلقد قاتلت عامة يومي ، وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذتني ، وضعت عليها قدمي ، ثم تمطيت عليها حتى طرحتها ؛ فانظر ماذا فعلت قوة الروح في هذا الرجل ، حتى تخلى عن ذراعه بتلك الطريقة التي ذكرها ، ولم يمنعه الألم ولا نزف الدم من مواصلة القتال ؛ حيث غطت قوة روحه على كل ألم .

إن هذه الروح المعجزة هي التي جعلت بعض كتاب الغرب يندهشون من الانجازات العسكرية التي حققها المسلمون ، والسرعة الفائقة التي تحققت بها تلك الانجازات ، حتى قال بعضهم (يكاد يكون مستحيلا أن نفهم كيف أن أعرابا منقسمين إلى عشائر ليست عندهم العدد والعتاد اللازم يهزمون في مثل هذا الوقت القصير جيوش الرومان والفرس الذين كانوا يفوقونهم مرارا في الأعداد والعتاد والتنظيم)[١٤] .

وللروح المعنوية العالية رافد عظيم آخر ، ينبع من عقيدة الايمان بالله ؛ إنه رافد الثقة بالدعوة المحمولة ، وأهدافها وغاياتها ، وأحقيتها بالسيادة . وأصل هذه الثقة الايمان بأن ما عند الله خير مما عند المخلوقات ؛ لأنه هو الخالق الواحد الأحد العليم الخبير . وهذه العقيدة تجعل المجاهد المؤمن يثق بأحقية ما يقاتل من أجله ثقة لا تعد لها غيرها ولا تقاربها : انه يؤمن بأن دعوته التي يجاهد من أجل اعلائها وتحكيمها في الأرض هي أصدق دعوة ، وأحق دعوة بالعلو والظهور ؛ لأنها دعوة الله أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين ؛ فهو يؤمن بعدالة الأهداف التي يضحي من أجلها ، وهذا الايمان يجعل منه مقاتلا رهيبا[١٥] ، لا يستكثر على دعوته مالا ولا نفسا ولا ولداً ،

بل يضحي بذلك كله في سعادة بالغة .

ان المجاهد المسلم يعتقد وهو يقاتل أعداءه أنه جندي لله رب العالمين ، يحارب من أجل اعلاء كلمته في الأرض ، ونشر دينه بين العباد ، في الوقت الذي يؤمن فيه أن أعداءه يقاتلون في سبيل الشيطان ، ولن ينتصر الشيطان على العزيز الجبار : ﴿ **الَّذينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ في سَبيلِ الله ، والَّذينَ كَفَروا يُقاتِلُونَ في سَبيلِ الطَّاغُوتِ ، فَقَاتِلُوا أَوْلياءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيطَانِ كَانَ ضَعِيفا** ﴾ .

ان هذه العقيدة وهذه الثقة بالدعوة والغايات تملأ قلب المجاهد المسلم بالشعور بالعزة والاستعلاء[١٦] ، وتحصنه ضد التنازل والمساومة والاستسلام : فهو يرى أن ما معه من الهدى ، وما حمل من الدعوة ، وما كلف بتحقيقه من الغايات أكرم وأعز وأشرف من كل مغريات الدنيا وزينتها ، فهو لا يرى شيئا يصلح بديلا عنها أو عن بعضها .

بهذا الشعور قابل السلف المجاهد في سبيل الله طواغيت الأرض وبلغوا رسالة الله الى البشر ، وطالبوهم بالكف عن ظلم العباد ، ولم يبهروا بما شاهدوه عندهم من بهارج الدنيا ، ولم يقيموا لذلك وزنا في قلوبهم ، فكان هذا الاستعلاء وكانت هذه العزة أول ما يحطمون به معنويات أعدائهم ، ويهزمون أرواحهم ؛ ليكون ذلك تمهيدا للانقضاض عليهم في ساحة الوغى . وفيما يلي أثبت للقاريء بعض المقابلات التي جرت بين مفاوضين من المجاهدين وبين يزدجرد ملك الفرس وقائده رستم ؛ حيث يظهر من خلالها النموذج الرائع للمعنويات العالية ، الذي يمكن القياس عليه ، واستنتاج بعض ملامح الشخصية الجهادية التي يصنعها الاسلام :

المقابلة الأولى ـ بين يزدجرد ملك الفرس ، وجماعة من المجاهدين منهم النعمان بن مقرن :

قال يزدجرد : ما جاء بكم وما دعاكم الى غزونا ؟ أمن أجل أنا أجمناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

قال النعمان لأصحابه : إن شئتم أجبت عنكم ، ومن شاء منكم آثرته .

قالوا : بل تكلم ، وقالوا للملك : كلام هذا الرجل كلامنا .

فتكلم النعمان فقال : ان الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدع الى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين : فرقة تقاربه ، وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب ، وبدأ بهم وفعل ، فدخلوا معه جميعا على وجهين : مكره عليه فاغتبط ، وطائع أتاه فازداد ، فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم ، فندعوهم إلى الانصاف ؛ فنحن ندعوكم إلى

ديننا ، وهو دين حسن الحسن ، وقبح القبيح كله ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فالمناجزة فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وإن أتيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم (أي حميناكم) ، والا قاتلناكم[١٧] .

المقابلة الثانية ـ بين رستم قائد الفرس والمجاهد المسلم ربعي بن عامر رضي الله عنه : لما نزل رستم قائد الفرس بالقادسية أرسل إلى سعد بن أبي وقاص أن ابعث لنا رجلا نكلمه ، فخرج إليه في اليوم الأول ربعي بن عامر ، وسار ليدخل على رستم في عسكره ، فاحتبسه الذين على مدخل المعسكر من جند رستم ، وأرسل إلى رستم بمجيئه ، فاستشار عظماء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ أنباهي أم نتهاون ؟ فأجمع ملؤهم على التهاون (أي التساهل معه) ، فأظهروا الزبرج ، وبسطوا البسط والنمارق ، ولم يتركوا شيئا ، ووضع لرستم سرير الذهب ، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب ، وأقبل ربعي يسير على فرس له قصيرة طويلة الشعر ، ومعه سيف مجلو ، وغمده لفافة ثوب خلق ، ومعه رمحه وترسه وقوسه ونبله ، فلما غشي القائد ، وانتهى إليه وإلى أدنى البسط ، قيل له : انزل ، فحملها على البساط ، فلما استوت عليه نزل عنها ، وربطها بوسادتين ، فشقهما ، ثم أدخل الحبل فيهما ، فلم يستطيعوا أن ينهوه ، وإنما أروه التهاون (كما اتفقوا) ، وعرف ما أرادوا فأراد استحراجهم (ايقاعهم في الحرج) ، وعليه درع ، ويلمقه عباءة بعيره قد جابها (قور جيبها) وتدرعها، وشدها على وسطه بحبل من الليف، وقد شد رأسه بمعجرته، وكان أكثر العرب شعرا، ولرأسه أربع ضفائر، قد قمن قياما كأنهن قرون الوعلة ، فقالوا : ضع سلاحك . فقال : اني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم ، أنتم دعوتموني فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت ، فأخبروا رستم ، فقال : ائذنوا له ، هل هو الا رجل واحد ، فأقبل يتوكأ على رمحه ، ويزج النمارق والبسط ، فما ترك لهم نمرقة ولا بساطا الا أفسده ، فلما دنا من رستم تعلق به الحرس ، وجلس على الأرض ، وركز رمحه بالبسط ، فقالوا : ما حملك على هذا ؟ (أي الجلوس على الأرض) قال : إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه ، فكلمه رستم فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه ، لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى ما وعدنا الله ، قال رستم : وماذا وعدكم الله ؟ قال ربعي : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي . . . . ثم طلب رستم مهلة يستشير فيها أهل الرأي من قومه ، فأجله ثلاثة أيام ، وقال له : اختر واحدة من ثلاث بعد الأجل : اختر الاسلام وندعك وأرضك ، أو الجزية ، فنقبل منك ونكف عنك ، وان احتجت الينا نصرناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع ، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ، وأنا كفيل لك بذلك على أصحابي ، وعلى جميع من ترى ، قال :

أسيدهم أنت ؟ قال : لا ، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم .

فخلص رستم برؤساء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ هل رأيتم كلاما قط أوضح وأعز من كلام هذا الرجل ؟ قالوا : معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب ! أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال رستم : ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إنهم يستخفون باللباس والمأكل ويصونون الأحساب ، ليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون ما ترون .

ثم أقبلوا على ربعي يتناولون سلاحه ، ويزهدونه فيه ، فقال لهم : هل لكم في أن تروني فأريكم ؟ فأخرج سيفه من خرقه كأنه شعلة نار ، فقال القوم : أغمده فغمده ، ثم رمى ترسا ، ورموا جحفته (ترسه) ، فخرق ترسهم ، وسلمت جحفته ، فقال : يا أهل فارس ، انكم عظمتم اللباس والشراب وانا صغرناهن ، ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل[١٨] .

المطلب الثاني
أثر الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم

للايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغ الأثر في تكوين الشخصية الجهادية للمسلم ؛ لأن هذا الايمان لا يصح ولا يكتمل حتى يكون الرسول أحب إلى المسلم من نفسه وماله وولده والناس أجمعين[١٩] ، فإذا امتلأ القلب بحب هذه الشخصية الكريمة كان ذلك دافعا قويا للاقتداء بها ، فليس أبعث على التأسي بانسان من حبه وتقديره واحترامه ، فإذا اندفع المسلم للتأسي بأكرم الخلق ، وجد أمامه أكمل الناس وأجمعهم للخصال الكريمة التي منها خصال الجهاد وأخلاقه ؛ حيث يجد نفسه أمام أشجع الناس وأثبتهم وأصبرهم وأكثرهم ايمانا بالله وثقة بنصره عز وجل وتضحية في سبيله .

والحق أن أفقر الأمم تلك التي لا تجد في تاريخها من تقتدي به وتقترب من أخلاقه ، وأغناها من شرفها الله عز وجل بأجمع الخلق كلهم لخصال الخير والقوة والشجاعة والبطولة . وليس من أمة في الدنيا خصت بمثل ما خصت به أمة الاسلام من النعمة المتمثلة في شخص رسول الله صلى عليه وسلم ؛ حيث رباه ربه ، فجمع فيه جميع الأخلاق العظيمة التي دعا إليها عباده في كتابه الكريم . وأية نعمة أعظم من أن يجد المسلم أمامه صورة عملية لكل فضيلة وكل خلق كريم ؟

وكيف لا يكون مجاهداً من عرف أن أحب الخلق إليه كان في الذروة العليا من الجهاد ، وأنه استولى على أنواعه كلها ، وجاهد في الله حق جهاده ، بالقلب والجنان ، والدعوة والبيان ،

والسيف والسنان ، وأن ساعاته كلها كانت موقوفه على الجهاد ؟ وكيف يتأخر عن الصف من علم أن من اتخذه قدوة وأسوة كان دائماً أقرب المقاتلين إلى العدو ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يلوذون به كلما حمي الوطيس ، وأن أشجعهم من كان يحاذيه لحظة من لحظات القتال ؟

ولقد خرجت المدرسة الربانية بقيادة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفي ظلال القرآن الكريم جيلا من الصحابة والتابعين ـ رضوان الله عليهم ـ كان لهم القدح المعلى من الأخلاق الجهادية ، بعد قائدهم عليه الصلاة والسلام ، كل واحد منهم له من البطولات والأمجاد ما يشكل سفرا ضخما ومعينا لا ينضب من الزاد الجهادي للأجيال التي جاءت بعدهم ، بشرط أن تمد يدها إليه ، وتغترف منه .

وإذا كانت أمة من الأمم لتفتخر أن يكون لها عدد قليل من الأبطال والبطولات أمثال هؤلاء ، تغذي أجيالها بذكراهم ، وتهتدي بسيرتهم ، فما بال أمة أكرمها ربها بأشرف خلقه ، وأشجعهم عليه الصلاة والسلام ، وحشد عظيم كريم من الأبطال ، تغفل عن أبطالها ، وتلوي أعناق أبنائها بالمناهج ووسائل الاعلام المختلفة ، وتصدهم عن رؤية أمجادها ، في الوقت الذي تعرض أنظارهم لشرار الخلق ، وأبطال الرذيلة ، وتملأ أسماعهم بسير الشخصيات الكافرة ؛ وكأن تاريخنا مقفر من البطولات والأمجاد ، حتى كانت النتيجة ادخال هذه الأجيال في مراكب من النقص لا تجد لها مراسي الا في القيعان ، ولا قرارا إلا في المؤخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المطلب الثالث

أثر الايمان باليوم الآخر

إذا كان الانسان المسلم ، بالشهادتين ينطلق ويندفع إلى الجهاد ، ومكافحة الشر وأهله ، فإن عقيدته وتصوره عن الآخرة تشده إلى الجهاد شدا ، وتملأ قلبه بالشوق إلى الشهادة ، لأن هذه العقيدة تعرفه على حقيقة هذه الدنيا ، وقيمة متاعها ، وأنها ليست سوى مرحلة من مراحل وجوده ، وممر ووسيلة إلى مرحلة نهائية ، فيها القيم الخالدة ، والتجارة الرابحة ، والفوز الحقيقي .

ومن أراد أن يعرف أثر هذه العقيدة في صياغة الشخصية المضحية ، من الناحية النظرية ، فليقارن بين شخصين : أحدهما يحمل تلك العقيدة بين جوانحه وآخر يعتقد أنه ينتهي بالموت ، وأن الدنيا هي آخر المطاف في رحلة الوجود الانساني ، وأنها الفرصة الوحيدة للاستمتاع والتلذذ ، فأيهما يلبي النداء إلى الجهاد ؟ وأيهما يضحي بنفسه وأمواله ؟ أليس هو الذي يعتقد أن الثمن أجزل

وأعلى ؟ أليس هو الذي يطلب الآخرة ؟ ثم أيهما يتقاعس ويقعد عن القتال ، وينتحل الأعذار للتخلف عن الجهاد ، ويضن بنفسه وماله ؟ أليس هو الذي لا يرى عيشاً بعد عيش الحياة الدنيا ، ولا متعة بعد متاعها ، ولا زينة بعد زينتها ؟

ولقد بين الحق جل وعلا هذه الحقيقة ، فقرر ـ ولا معقب على تقريره ـ أن الجبن والكفر بالآخرة صنوان ، وأن الشجاعة والاقدام والايمان باليوم الآخر متلازمان ، فقال عز من قائل : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ ـ سورة التوبة ـ الآيتان ٤٤ ، ٤٥ .

ذلك من الناحية النظرية ، وأما من الناحية الواقعية ، فإليك هذا المثل الذي يبين أثر هذه العقيدة في قلوب المؤمنين بها :

وردت أخبار صحيحة كثيرة في فضل المشي والغبار في سبيل الله تعالى ، وقد دلت في مجملها على أن الغبار الذي يصل إلى جوف المجاهد في سبيل الله يجعله الله سببا للخلاص من جهنم ودخانها ، من ذلك ما ورد عن عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار[٢٠] ، وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من رجل يغبر وجهه في سبيل الله إلا آمنه الله دخان النار يوم القيامة ، وما من رجل تغبر قدماه في سبيل الله إلا آمن الله قدميه النار يوم القيامة [٢١] .

هذه الأخبار وأمثالها ، إذا سمعها المسلم أسكنها قلبه ، وصارت عقائد عنده ، عن نهاية سيصير إليها ، وتفاعلت مع أحاسيسه ، وانتجت صبرا ومثابرة وشجاعة واصرارا على مقارعة الأعداء ، وقد يوضح شيئا من ذلك هذه القصة :

يروى عن صلاح الدين الأيوبي أنه كان يحمل معه صناديق مقفلة في أيام جهاده ، وكان يحرص عليها أعظم الحرص ، ويرعاها أشد الرعاية ، حتى ظن بعض الناس أن هذه الصناديق تخفي في بطونها جواهر ويواقيت وأموالا . وبعد وفاته فتحت تلك الصناديق فوجد الذين فتحوها أنها تحوي وصية صلاح الدين وكفنه وكمية من التراب . وفتحت الوصية فكان مما جاء فيها (أكفن بهذا الكفن الذي تعطر بماء زمزم ، وزار الكعبة المشرفة وقبر النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا التراب هو من مخلفات أيام الجهاد ، يصنع منها طابوق يوضع تحت رأسي في قبري) . ونفذ القوم وصيته ، فصنعوا من ذلك التراب الذي جمعه صلاح الدين في معاركه مع الصليبيين اثنتي عشرة طابوقة . . ووضعوها تحت رأسه في قبره الشريف ومازالت إلى اليوم[٢٢] .

إن صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ قد وصل إلى علمه تلك الأخبار عن فضيلة الجهاد والتغبر في سبيل الله ؛ حيث كان الرسول عليه الصلاة والسلام قائده وأسوته ، فأيقن بصدقه ، وأن نجاته من العذاب مرهونة بالجهاد في سبيل الله ، فكان ، رحمه الله ، يحرص بعد عودته من كل معركة يخوضها جهادا في سبيل الله على جمع الغبار والتراب المتكاثف فوق وجهه وثيابه وقدميه ، ويحتفظ به في صندوق من صناديقه السرية ، حتى جمع هذه الكمية ، وأوصى بجعلها تحت رأسه في قبره ، لتشهد له أمام الله ؛ حيث لا ينفع مال ولا بنون ، ولا يرفع جاه ولا سلطان ، ولا جواهر ولا يواقيت . فكان منه ما كان .

فهل كان صلاح الدين يصل إلى هذه الدرجة العليا في الجهاد ، لو لم يؤمن بذلك اليوم ، الذي لا يقبل فيه إلا الجهاد والعمل الصالح والقلب الخالص لله ؟

والله لو كان كذلك ، لما سمعنا باسمه بين المجاهدين ، ولما كان له شأن لا عند الله ولا عند الناس ، ولكن ربه اكرمه بالاسلام والايمان .

ومن جهة أخرى فإن الاسلام يعرف الناس بالقيم ويرتبها لهم ترتيبا يدفعهم إلى الجهاد دفعا ، فيبين لهم أن ما عند الله خير وابقى ، وانما أعد الله للمجاهدين في الحياة الأخرى ، لا يساويه ولا يقاس به أي شيء من متاع هذه الحياة الدنيا . ولا شك أن من يعتقد بأن ما هو مقدم عليه بعد الموت خير من الدنيا وما فيها ، فلن يتوانى عن الأقدام ، ولن يضن بنفسه وماله . وأن من يفضل متاع الدنيا الزائل ، على نعيم الآخرة المقيم ؛ لاعتقاده أن ما في الدنيا هو القيم العليا التي يتمسك بها ، ويحافظ عليها ، يؤثر القعود على الجهاد .

ولذلك شنع الله على المتثاقلين إلى الأرض ، وبين سوء اختيارهم لمتاع الدنيا ، وتفضيلهم أياه على الخلود في النعيم ، فقال سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ : انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ؟ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ؟ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرِهِ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾التوبة ـ آية ٣٨ .

وأما الشهداء فقد أثبتَ الاسلامُ في قلوبِ المؤمنين أنَّ مصيرَهم خيرُ مصير ، وأن مركزهم عند الله عظيم وكريم ، وأن لهم من الامتيازات والاختصاصات عند رب العباد ما ليس لغيرهم ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً ، بَلْ أَحْياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ آل عمران ـالآيتان ١٦٩ ، ١٧٠ .

ولهذه العقيدة أثرها العظيم في حث المؤمنين على التسابق إلى الجهاد والتنافس فيه ، وفي

حثهم على دفع أحبائهم من أولادهم وإخوانهم إلى هذا الفوز العظيم . كما أن لغياب هذه العقيدة عن القلوب أثراً بينا في تثبيط همم الناس عن القتال وتحريضهم لاحبائهم على الابتعاد عنه .

وبهذا نستطيع تفسيرما نقرؤه في سيرة الصحابة رضوان الله عليهم من فرحهم وسعادتهم بمقتل أحبائهم في سبيل الله :

ورد عن أم حارثة سراقة أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله ، ألا تحدثني عن حارثة ـ وكان قبيل يوم بدر أصابه سهم غرب (سهم طائش) ـ فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال : يا أم حارثة ، إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى[٢٣] . فانظر إلى هذه الصحابية الجليلة كيف استقر في قلبها أن الخسران الذي يستحق البكاء هو فوات الجنة ، بعدم احراز الشهادة .

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : لما طعن حرام بن ملحان ، يوم (بئر معونة) قال بالدم هكذا ، فنضحه على وجهه ورأسه ، وقال : فزت ورب الكعبة . وروي أن الذي قتله جبار بن سلمى الكلابي . قيل : ولما طعنه بالرمح قال : فزت ورب الكعبة . ثم سأل جبار بعد ذلك : ما معنى قوله (فزت) ؟ قالوا : يعني بالجنة فقال : صدق والله ، ثم أسلم جبار لما رأى من صدق هذا المقاتل المسلم[٢٤] .

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر ، فقال : يارسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن اشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المشركين ، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله أن أصنع ما صنع . قال أنس بن مالك : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ، فقال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُم مَن قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَن يَنتظِرُ ، وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً** ﴾ [٢٥] الأحزاب ـ آية ٢٣ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، قال عمير بن الحمام : بخ بخ ، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها . قال : فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة ، فرمى ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل[٢٦] .

تلك النفوس المؤمنة عرفت القيمة الحقيقية للحياة الدنيا ، فلم تقم لها من الوزن أكثر مما أعطاها خالقها سبحانه ، وأيقنت أنها فرصة للعمل والجهاد لا تتكرر ، وليست فرصة للتلذذ والاستمتاع ، فكانت في شجاعتها وتضحيتها مضرب الأمثال ، وكانت نماذج لن تتكرر في التاريخ إلا بالأسلوب نفسه الذي خرجت فيه إلى الوجود أول مرة .

وأما المتثاقلون إلى الأرض ، الذين يفضلون متاع الدنيا على الخلود في النعيم ، فقد عاتبهم الله أشد العتاب ، وعرفهم أن حقيقة صنيعهم ليس إلا تفضيل القليل على الكثير ، والفاني على الخالد ، فقال سبحانه وتعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ، أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرةِ ، فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرةِ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾ التوبة ـ الآية ٣٨ .

والحق أن للأرض جاذبية ، وللطين ثقلا ، ولمتاع الدنيا سلطانا على النفوس ، ومهما قيل عن الدوافع الدنيوية ، من حب للأوطان وطلب للذكر والشهرة فإنها لا ترقى أبدا على تلك الجاذبية وذلك الثقل والسلطان ، ولا يقوى عليها إلا جاذبية الجنة والشوق إلى نعيمها ، وطلب الخلاص من النار وجحيمها .

المطلب الرابع

أثر الايمان بالقدر

أما عقيدة الايمان بالقدر فانها تتكفل بتحطيم أعتى الحواجز النفسية التي تحول دون الانطلاق نحو الجهاد ، وتثبط الهمم عن مواصلة البذل والتضحية في سبيل الله عز وجل ، وهي أمراض نفسية ، لا تغزو قلب انسان ، ولا تنتشر في أمة من الأمم إلا وأفقدتها جميع مؤهلاتها الجهادية أو معظمها ، وفي مقدمتها أربعة أمراض ليس لها علاج ناجع سوى هذه العقيدة الربانية المباركة . وهذه الأمراض هي : الخوف من الموت ، والخوف على الرزق ، واليأس ، والغرور :

فبالايمان بقدر الله عز وجل في الآجال والأعمار وأسباب انتهائها يتحرر المؤمن من الخوف من الموت ، والخوف على الحياة ، حيث آمن أن الله عز وجل هو الذي يحيي ويميت ، وأن أسباب الموت

والحياة بيده سبحانه ، وأن لكل مخلوق لحظة محددة في علم الله عز وجل يخرج فيها من هذه الدنيا ، مهما اتخذ لنفسه من وسائل الحماية والوقاية ، حيث سمع قول ربه العليم ﴿ **أَيْنَمَا تكونوا يدرككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ : لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ ، فعرف بذلك حماقة الذين يفرون من قدر الله وهو ملا قيهم ، وخسارة الذين يبخلون بأرواحهم ، وهي ودائع مستردة مقابل جنة عرضها السموات والأرض . عرفوا ذلك فقال قائلهم :

أي يومي من الموت أفر ... يوم لا قدر أو يوم قدر
يوم لا قدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجو الحذر

أما الذين يحسبون أن الأمر بأيديهم ، وبما يتخذونه من وسائل الوقاية والاحتياط ، فهم أجبن الناس عن مقابلة الأعداء ، حيث يظنون أن في القعود مهربا من الهلاك ، قال عز وجل ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُواْ ، وَقَالُواْ لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ، لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ .

وأما الخوف على الرزق ، فإنه لا يجد إلى قلب يؤمن بقدر الله سبيلا ، لأن المؤمن يعلم أن الرزق بيد الله ، وهو مقدر لا يزيده جبن و احجام ، ولا يمنعه شجاعة ولا اقدام ، حيث آمن بما قال له ربه ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا** ﴾ وبما أقسم عليه بنفسه سبحانه ﴿**وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَمَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ** ﴾ .

وقد كان الرجل المؤمن في عهد رسول الله يذهب إلى الميدان ، فيعترض سبيله المثبطون ، ويخوفونه على أولاده ورزق عياله ، فيقول : علينا أن نعطيه تعالى كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا ، وكان المخذلون يذهبون إلى المرأة المؤمنة ، فيثيرون مخاوفها على رزقها ورزق عيالها إذا ذهب زوجها إلى الجهاد ، فتجيبهم بثقة واطمئنان : زوجي عرفته أكالا ولم أعرفه رزاقا ، فإن ذهب الأكال فقد بقي الرزاق .

وأما اليأس فإنه لا يطرق أبواب القلوب التي آمنت بقدر الله عز وجل ، فإن طرقها عاد خائبا لا ينال منها شيئا ؛ لأنها قلوب أيقنت أن الأمر بيد خالقها ، وإذا كان الأمر بيد المنان الكريم الرحمن الرحيم فهيهات أن يوصد في وجه أحبائه أبواب الأمل ، وتنزه سبحانه أن يمعن في إيذائهم ومنع الخير عنهم ، فإن كان منه ابتلاء لهم ، فإنما ذلك ليستخرج ما عندهم من الصبر والتوكل عليه سبحانه ، فإن نجحوا في الامتحان كافأهم عز وجل مكافأة تليق بكرمه وجوده .

وإذا كانت هذه العقيدة توصد أبواب القلوب أمام اليأس والقنوط ، فإنها تطهرها أيضا من البطر والغرور ، لأنها أيقنت أن ما يصيبها من خير فمن خالقها ، فلا تركن إلى قوتها الذاتية ، ولكنها تجمع معها التوكل على الله عز وجل ، وتسخرها في طاعته سبحانه . والحقيقة أن الغرور هو المدخل الأول لليأس ؛ لأن من يعتز بقوته الذاتية ينهار عند أول فشل ؛ حيث تنهار ثقته بما يعتبره نصيره الأوحد .

وأما المؤمنون فإنهم يوظفون قوتهم الذاتية في طاعة الرب جل وعلا ، ويرون أنهم ينتصرون بمعونته ، فإن فشلوا مرة ، أو أصيبوا ، فذاك عندهم مقدمة لمكافأة كبيرة ، هي النصر في الدنيا ، والثواب في الآخرة ، فأرواحهم عالية في السراء والضراء على السواء ، وهذا ما أخبر به من لا ينطق عن الهوى ، عليه الصلاة والسلام ، حيث قال (عجبا لأمر المؤمن ؛ إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)[٢٧] حقا انها لنعمة لا ينالها إلا المؤمن بالله وقدره ، وأما غيره فنصيبه اليأس والقنوط في الضراء ، وكفر النعمة والبطر والغرور في السراء .

ولعظم شأن هذه النعمة نوه بها الحكيم الخبير في كتابه العظيم فقال عز وجل ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الْأَرضِ وَلَا فِي أَنفسكم إِلَّا فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ، لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَا آتَاكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٌ** ﴾[٢٨] الحديد الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

المطلب الخامس
أثر بعض العقائد والتصورات الاسلامية الأخرى

ليس الأمر مقتصرا على ما تقدم ذكره من العقائد الاسلامية في التأثير على شخصية الانسان وتوجيهها توجيها جهاديا ، بل إننا نستطيع أن نتبين نوعا من هذا التأثير في كل عقيدة أتى بها دين الاسلام ، وكل تصور زرعه في عقول أتباعه وقلوبهم ، من ذلك مثلا :

١ ــ الايمان بالرسل الكرام ، الذين أرسلهم الله قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، وكذلك الايمان بما ذكر الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم من أخبار الصالحين المصلحين ، وأخبار جهادهم وثباتهم وصبرهم أمام الطواغيت والمجرمين ، كل ذلك يعد من مصادر التربية الجهادية :

فدروس الثبات على الدعوة وعدم اليأس ، والصبر على الأذى ، والتضحية في سبيلها يجدها

المؤمن الذي يتلو القرآن الكريم في سيرة المرسلين كلهم ، أمثال نوح وابراهيم وعيسى وموسى ويوسف وغيرهم ، وكذلك في سيرة بعض الصالحين كالذين ذكرهم الله عز وجل في سورة البروج[٢٩] ، وفصل خبرهم الرسول عليه الصلاة والسلام[٣٠]

كذلك دروس العزة والشجاعة والاقدام والتحدي يجدها المؤمن في رسل الله داود وسليمان وموسى وابراهيم ونوح وغيرهم .

ومن خلال سيرة الرسل يتعلم المؤمن الحكمة في دعوة الناس إلى الله : كيف يبدأ معهم ، وكيف يسير ، وكيف ينتهي ، وكيف يرد عليهم ، وغير ذلك من وجوه الحكمة في تبليغ رسالات الله عز وجل .

ومن إيمان المؤمن برسل الله يمتليء فؤاده بالثقة التي سبق ذكر بعض منابعها من عقيدة الاسلام ، وهذا منبع آخر لها يكمن في ايمانه بأن نهاية المعركة بين الحق المتمثل في رسالات السماء ورسل الله عز وجل ، وبين الباطل المتمثل في الظلمة والطواغيت والشياطين من الجن والانس ، والمناهج والخطط والأحكام التي يضعونها ستكون لصالح الحق وأهله مهما كان للباطل من جولات .

٢ ــ الايمان بالملائكة الكرام ، وبوظائفهم التي أخبرنا عنها القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام ، وبخاصة تلك الوظائف التي لها علاقة بحياة الانسان وأعماله ، كل ذلك له أثر عظيم في حياة الانسان المؤمن ؛ ذلك أن الصبر ومواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة ، هذه المعانى وغيرها من المعاني الجهادية من لوازم الايمان بالملائكة ، وما أخبر الله من أفعالها وأحوالها ؛ فعندما يضل الركب عن الطريق ، وتسود الجاهلية الجهلاء ، ويصبح المؤمن غريبا في وطنه وبين أهله وقومه ، ويجد منهم الاستهزاء والصدود ، والتخذيل والتثبيط عن طاعة الله عز وجل ، في هذه الغربة يجد المؤمن أنيسا ورفيقا يصحبه ويواسيه ، ويصبره ويطمئنه ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى ؛ فهذه جنود الله معه ، تعبد الله كما يعبد ، وتتجه إلى خالق السموات والأرض كما يتجه ، وتبارك خطواته وتشد من أزره ، وتذكره بالخير عند ربه ؛ فهو إذاً ليس وحده في الطريق إلى الله ولكنه يسير مع الركب العظيم ، ومع الأكثرية من مخلوقات الله عز وجل : مع الملائكة الكرام ، ومع الأنبياء عليهم السلام ، ومع السموات والأرض ، فهو الأكثر رفيقا ، وهو الأقوى سندا ، فتجعله هذه المشاعر الصادقة صابرا مطمئنا ، لا يزيده صدود الناس إلا ثباتا وجهادا[٣١] .

٣ ــ ومن جهة أخرى فإن الاسلام صحح فكرة الناس عن ألم القتل الذي يلاقيه الشهيد ، وأثبت في قلوب المؤمنين أنه مخفف عليه من دون الموتى ؛ الذين يلاقون من معاناة الموت والنزع ما تقشعر منه الأبدان ، وأما الشهداء فقد أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أنهم لا يلاقون من ألم القتل إلا مثل ألم القرص ، قال صلى الله عليه وسلم (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة)[٣٢] .

ولهذه العقيدة أثر واضح في دفع أهلها إلى القتال ، واستسهال الموت في سبيل الله ؛ فإنه إذا لم يكن من الموت بد ، وكانت الشهادة هي أكرم أشكاله وأيسرها على النفس ، فقد خسر من اختار غيرها .

٤ ــ ومن العقائد المؤثرة في تكوين الشخصية الجهادية للمسلم ما يسكنه الاسلام في عقله وقلبه من أن الخير كله فيما يختار له ربه ، وأن الأنظار إذا استقلت عن نظر الله عز وجل ورعايته قصيرة لا تدري أين المصلحة الحقيقية ، وان أمورا كثيرة تكرهها النفس ، ويجعل الله فيها خيرا كثيرا ، وأن أمورا أخرى تشتهيها ، ويجعل الله فيها البلاء والشقاء ، وأن الجهاد وإن خيل للناس أن فيه ألما ؛ لما يلاقيه أهله من ألم الفراق ، فإن الله سبحانه يقرر أن فيه خيرا كثيرا ، فقال عز وجل : ﴿ **كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكرَهُوا شَيئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُم ، والله يَعْلَمُ وأَنتُمْ لا تَعْلمونَ** ﴾ البقرة ـ آية ٢١٦ .

فإذا رسخت هذه العقيدة في النفوس سلمت أمرها لله تعالى ، وأطاعت إرادته ، واستجابت له إذا دعاها للجهاد .

وفي آية أخرى بين سبحانه وتعالى للمؤمنين أن التخلف عن الجهاد ، والتمسك بزينة الدنيا إلقاء بالأيدي إلى التهلكة ، فنهاهم عز وجل عن ذلك ، فقال ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْديكُمْ إلى التَّهلُكَةِ** ﴾ الحج الآية ٣٨ ؛ فقد ورد عن بعض الصحابة أن المراد بالتهلكة التخلف عن الجهاد ؛ روى الترمذي عن أبي عمران قال : كنا بمدينة الروم ، فأخرجوا الينا صفا عظيما من الروم ، فخرج لهم من المسلمين مثلهم وأكثر . . فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا : سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة . فقام أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال : أيها الناس ، أنتم تتأولون هذه الآية هذا التأويل ، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار ، لما أعز الله الاسلام ، وكثر ناصروه ، قال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أموالنا قد ضاعت ، وإن الله تعالى أعز الاسلام وكثر ناصروه ، فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منا ، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْديكُمْ إلى التَّهلُكَةِ** ﴾ ،

وكانت التهلكة الاقامة على الأموال واصلاحها وتركنا الغزو . قال الراوي : فما زال أبـو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى استشهد ودفن بأرض الروم[٣٣] .

الفرع الثاني
أثر التربية الاسلامية في تكوين الشخصية الجهادية

إن الاسلام يربي الجندي المجاهد ، وينشيء في الوقت نفسه الأمة المجاهدة .

ويتناول المنهج الرباني الفرد والأمة من جميع الجوانب ، فيغرس فيهم أخلاقا ايجابية تدفعهم نحو الجهاد بجميع اشكاله ، وتثبتهم عليه ، ويطهرهم من جميع المعاني والصفات السلبية والمعطلة عن الجهاد .

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الأخلاق إن هي إلا ثمرات أكيدة لتلك العقائد التي يثبتها الاسلام في قلوب المسلمين . ومع ذلك فقد خصت هذه الأخلاق في القرآن والسنة بالذكر والأمر بها والحث عليها ، واعتبرت دائما دلائل على صحة تلك العقائد وصدق الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، كما أن كثيرا من هذه الأخلاق تعد ثمرات مباركة للعبادات الاسلامية إذا التزمت بالصورة الصحيحة .

ونذكر فيما يلي الأخلاق الجهادية الفردية التي يمنحها الاسلام لاتباعه ، ويجعلها فيهم طبائع ثابتة ، ثم نذكر بعد ذلك أهم الأخلاق الجهادية الجماعية التي يربي عليها الاسلام أمته ، ويجعلها خصائص لها لا تنفك عنها .

المطلب الأول
الأخلاق الجهادية الفردية التي تثمرها التربية الاسلامية

وتتنوع هذه الأخلاق ، بحيث تحافظ على الروح الجهادية في نفـوس المؤمنين ، في جميـع أوقاتهم وأحوالهم : قبل نزال العدو ، وأثناءه ، وبعده ، ومن هذه الأخلاق :

١ ــ تقوى الله عز وجل ، ومحاسبة النفس ، وهجـر الهوى ، وضبط الشهوة : فإن من أول أسباب الهزيمة ، الانغماس في المعاصي ، والخضوع للأهواء والشهوات ؛ فإنها مضيعة للطاقات ، ومفسدة للجهود ، وطريق للاستذلال في كل وقت . وإن من العبث الخروج لمقارعة العدو في

يقصر عنها مثل هذا المقام ، وتقصر عنها الكتب والمؤلفات ، وتتصاغر أمامها شجاعة الشجعان ، وصبر الصابرين ، وثبات الثابتين :

ففي مكة ثبت على دعوته ، وصبر على أذى قريش ، ووسائلها في الترغيب والترهيب ، وصدع بالحق الذي أوحي به إليه من ربه ، ولم يتنازل عن أي شيء منه ، ولم يكن معه يومئذ سيف ولا رمح ، ولا أمر بقتل ولا قتال ، وتأمل هذا الخبر الصحيح الذي نقلته إلينا كتب السيرة وانظر ما اعظم شجاعة هذا الرسول وثباته : قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : لقد رأيتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر(٥٣) ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، وصرنا معه على أمر عظيم . قال : فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فغمزوه(٥٤) ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتها في وجهه ، فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال : (اتسمعون يا معشر قريش ؟ اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح) ، فاخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع ؛ حتى إن اشدهم فيه وصاة(٥٥) قبل ذلك ليرفؤه(٥٦) بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم راشدا ، فما كنت بجهول ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى اذا كان الغد واجتمعوا في الحجر وانا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى اذا بدأكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، فاحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب الهتهم ودينهم ، فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام : نعم أنا الذي أقول ذلك(٥٧) .

فانظر إلى هذا التحدي الشديد لقريش ، وهذه الشجاعة الفريدة ، في وقت لم يكن له من المخلوقات سند . وأما في المدينة فحسبك أن تعرف أنه عليه الصلاة والسلام قاد المسلمين في أقل من عشرة أعوام في ثمان عشرين معركة ، برزت فيها شجاعته عليه السلام ، وصبره وثباته ، بشكل يبهر العقول ويأخذ بالألباب ، ويدعو إلى أعظم الأعجاب(٥٨) . يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه (لما كان يوم بدر ، اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أشد الناس بأسا ، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه)(٥٩) . وقال أيضا (إنا كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا إلى العدو)(٦٠) . ويقول البراء بن عازب فيما أخرجه البخاري (كنا اذا حمي البأس نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الشجاع الذي يحاذي به)(٦١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس . كان فزع بالمدينة ، فخرج الناس قبل الصوت ، فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقهم إلى الصوت وعرف الخبر ، وكان راكبا فرساً عاريا فقال : لم تراعوا[٦٢] .

وثباته عليه السلام في أحد والخندق ويوم حنين وغيرها أمر معروف ومشهور ، وهو مما يجل عن الوصف . وفي معظم المعارك كان صبره عليه السلام وثباته وشجاعته أول العوامل التي يستجلب بها نصر الله عز وجل .

وأما أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فما زالوا ولن يزالوا اعلاما وأمثالا في هذا الخلق الكريم بعد الانبياء والرسل عليهم السلام . وكيف لا ؟ ومنهلهم القرآن ؟ وقائدهم أشجع الشجعان عليه الصلاة والسلام ؛ فإن الشجاع يربي الشجعان . واخبار صبرهم وثباتهم وإقدامهم تملأ الكتب والمصنفات لمن أراد أن يتأسى : ففي مكة تحمل السابقون منهم الأذى الشديد ، وصبروا على التعذيب والتنكيل والمقاطعة والجوع ، وثبتوا على الحق الذي حملوه بصدق . ثم صبروا بعد ذلك على مفارقة المال والأهل والولد والوطن ، وخرجوا وقد تركوا كل شيء من الدنيا ، وحملوا معهم دعوتهم ودينهم . وفي المدينة جاهدوا وصبروا وثبتوا ، وتحملوا في جهادهم القتل والجوع والعطش ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، حتى نصرهم الله عز وجل بعد أن نصروا دينه : عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة رمتهم العرب عن قوس واحدة فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ، ولا يصبحون إلا فيه ، فقالوا : ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله ؟ فنزلت : ﴿ **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾[٦٣] النور ـ الآية ٥٥ .

ومن أخبار صبرهم وتحملهم وثباتهم رضوان الله عليهم :

قال محمد بن سيرين : إن كان الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يأتي عليه ثلاثة أيام لا يجد شيئاً يأكله ، فيأخذ الجلدة فيشويها فيأكلها ، فإذا لم يجد شيئا أخذ حجرا فشد به صلبه[٦٤] .

وأخرج الترمذي وصححه (أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة)[٦٥] .

وعن ابن سعد في الطبقات عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجت يوما من بيتي إلى المسجد لم يخرجني إلا الجوع ، فوجدت نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا هريرة ، ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقلت : ما اخرجني إلا الجوع ، فقالوا : نحن والله ما

الخارج ومقاتلته ، قبل قهر العدو الكامن في داخل الانسان . وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (المُجاهدُ من جاهَدَ نفسَه في طاعةِ الله)[٣٤] . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قائده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومن معه من الأجناد : أما بعد ، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ؛ فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ؛ لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا : إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس ﴿ **فَجَاسُوا خلالَ الدِّيارِ وكانَ وَعْداً مَفْعولاً** ﴾ الاسراء ـ الآية ٥ ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم . . .)[٣٥] ، ويقول ابن قيم الجوزية (ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج وأصلا له ؛ فإنه مالم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج ؛ فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه . . .)[٣٦] .

والذين فتحوا البلاد ، ونشروا راية العدل في أرجاء المعمورة هم أولئك الذين وصفهم الله بقوله ﴿ **إنَّهُمْ كانوا قَبْلَ ذلكَ مُحسنينَ ، كانُوا قَليلاً مِنَ اللَّيلِ مَا يَهْجَعون ، وَبالأَسْحارِ هُمْ يَستَغفرونَ ، وَفي أَموَالهم حَقٌّ لِلسائِلِ والمَحرُوم** ﴾ الذاريات ـ الآيات ١٦ ـ ١٩ .

وأما الذين ضيعوا ثمرات ذلك الجهاد فهم أولئك الخلف الذين وصفهم الباري بقوله : ﴿ **وَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ** ﴾ مريم ـ الآية ٥٩ .

ومن هنا تدرك سر الخطة التي يتبعها المستعمرون واتبعوها في كل بلد حلوا فيه ، والتي تقوم على تشجيع التفسخ الخلقي ، وعبادة الشهوة ، وإشاعة الفاحشة ومطاردة المثل والقيم العليا ، وأهلها ؛ لأنهم يعلمون أن أصحاب الخلق والتقوى فيهم يكمن الخطر عليهم ، وإنهم العقبة الكؤود أمام اطماعهم .[٣٧]

٢ ــ حماسة القلب ، وتعلقه بالغاية التي يجاهد صاحبه من أجلها ؛ ذلك أنه لا قيمة لجندي لا غاية

له في قتاله ، ولا لجندي له غاية غير مقتنع بها ، وحتى فإن مجرد الاقتناع لا يكفي ، ولابد من التحمس لهذه الغاية والتعلق بها ، ولا ينتظر من الجنود تضحيات بغير هذا ؛ يقول مونتجمري في هذا (إن التعب والخوف والرعب والحرمان وتحمل الموت سوف يواجهها الجندي المقاتل بقلب جسور إذا كان على علم وإيمان بالغرض الذي يقاتل من أجله)[٣٨] . ويقال عن أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية أن الجندي الفرنسي لم يكن يؤمن بالهدف الذي يقاتل من أجله ؛ إذ كان يعتقد أنه يقاتل من أجل بولندا في حرب لا ناقة له فيها ولا جمل[٣٩] .

وليس من دين أو نظام على وجه هذه الأرض يثير في قلوب أتباعه اندفاعا نحو تحقيق غاياتهم ، وتعلقا بها ، كما يثير الاسلام في قلوب المؤمنين حب اعلاء كلمة الله تعالى وتحطيم رايات الكفر ، وإنقاذ العباد من ظلم الطواغيت ، وتمني الشهادة في سبيل الله تعالى .

وأساس هذا التعلق بالغاية والاندفاع نحوها وعشق الجهاد في سبيلها إدراك المسلم أن الله عز وجل قد كرمه باختياره لأشرف مهمة ، وهي مهمة الجهاد لاعلاء كلمة الله ؛ حيث يقرأ قول ربه ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ** ﴾ الحج ـ الآية ٧٨ . ومهمة نشر الخير والمعروف بين العباد ، وتخليصهم من الفساد والمنكر ؛ حيث يقرأ قول الله عز وجل ﴿ **كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمعروفِ وَتَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله**) آل عمران ـ الآية ١١٠ .

وأساس هذا التعلق بالغاية أيضا إحساس المجاهد بأنه جندي من جنود الله ، يحارب أعداء الله ، وأن الله عز وجل في معيته ينصره ويدافع عنه[٤٠] . كذلك فإن هذا التعلق والاندفاع ثمرة لتوجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام :

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي نفسي بيده ، لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما احملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله . والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل »[٤١] .

من أجل هذا أوجب الله على المسلم ان لم تمكنه الظروف من المشاركة الفعلية في قتال الكفار ، أن يشارك بقلبه وروحه ، فيحدث نفسه بالجهاد ، ويسأل الله تعالى الشهادة بصدق ، حتى يظل مستعدا نفسيا لنزال العدو ، حتى إذا أزفت ساعة القتال ، وتمكن من الخروج إليه ، لم يكن هناك ما يثبطه ، ولم يكن ذلك غريبا على نفسه ولا ثقيلا على روحه . وأوضح ما يعبر عن هذا قوله عليه الصلاة والسلام « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق »[٤٢] .

ومن جهة أخرى فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طلب الشهادة بصدق جهاد ، وان لم يقتل المسلم في ساحة القتال ؛ قال عليه السلام « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه »[٤٣] . وقال أيضا « من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه »[٤٤] . .

ولقد تخرج على هذه التربية نماذج من المجاهدين لم تعرف البشرية لهم مثيلا ؛ كانوا يتسابقون إلى الشهادة ويتمنونها ، ويسألونها ربهم بصدق واخلاص ، وما أكثر اخبارهم في هذا :

ورد عن عمر رضي الله عنه أنه كان يدعو ربه فيقول : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم[٤٥] .

ودعا عبد الله بن جحش ربه فقال : اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غدا ، فيقتلوني ، ثم يبقروا بطني ، ويجدعوا أنفي وآذاني ، ثم تسألني : بم ذاك ؟ فأقول : فيك ، فبر الله بقسمه ، وشوهد آخر النهار وأنفه وأذناه معلقان في خيط[٤٦] .

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعا الخروج معه ، فذكر ذلك للنبي ، فأمر أن يخرج أحدهما ، فقال خيثمة لابنه سعد : إنه لابد لأحدنا من أن يقيم ، فأقم مع نسائك ، فقال سعد : لو كان غير الجنة لآثرتك به ، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا ، فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، فقتله عمرو بن ود[٤٧] . فانظر إلى هذا التنافس في الجهاد بين والد وولده .

ولقد كان الواحد منهم يحزن بشدة إذا فاتته فرصة الخروج إلى الجهاد في سبيل الله : ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فاستصغرني ، فلم يقبلني ، فما أتت علي ليلة قط مثلها في السهر والحزن والبكاء ؛ إذ لم يقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما كان من العام المقبل عرضت عليه ، فقبلني ، فحمدت الله على ذلك[٤٨] .

وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول (ما من ليلة يهدى إلي فيها عروس أنا لها محب ، أو أبشر فيها بغلام أحب إليّ من ليلة شديدة البرد ، كثيرة الجليد في سرية أصبح فيها العدو)[٤٩] .

وكان أيضا يقول (ما أدري من أي يومين أفر ، يوم أراد الله أن يهدي لي فيه شهادة ، أو من يوم أراد أن يهدي لي فيه كرامة)[٥٠] .

وما أكثر أمثال هذه الصور المشرقة في معارك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد ملأت أخبارهم صفحات الكتب ، وصنف فيها المصنفات . فلم تكن صورا فردية نادرة ، وإنما

كانت هذه خصيصة ثابتة عامة لجميع الجيل الذي رباه القرآن ومحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . فإن التاريخ الصادق ماذكر لنا اسما لرجل دخل مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد ذكر معه قصة أو قصصا من أمثال ما تقدم من البطولة والشجاعة والاقدام .

٣ ــ الصبر والثبات : فإنه لا يماري عاقل في أن الصبر والمصابرة والتحمل والثبات من مؤهلات النصر ، ولا نصر بدون هذه الأخلاق . ولم يؤثر في تاريخ البشرية كلها أن منهجا أو دينا أو نظاما استطاع أن يثبت هذه الفضائل في نفوس أتباعه مثلما فعل الاسلام في المسلمين الذين صدقوا في حمله وتمثله . ولا عجب في ذلك ؛ فإن القرآن الذي اتخذه المسلمون دستورا وإماما ، قد حثهم على هذه الأخلاق ، وأوقع في قلوبهم أنها دلائل الايمان وصدقه . حتى لقد وردت كلمة (صبر ومشتقاتها) في نحو ثلاثمائة آية من آيات الذكر الحكيم[٥١] . وكثيرا ما قرن ذكر الصبر مع الايمان وكثيرا ما قرن مع الجهاد ؛ لأن الصبر من جهة ثمرة الإيمان الصادق ، ومن جهة فإنه مؤهل الجهاد والعمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِروا وَرَابطوا وَاتّقوا الله** ﴾ آل عمران / ٢٠٠ ، وقال عز وجل معلما المؤمنين أحسن الدعاء ﴿ **رَبّنا أَفْرِغْ عَلَينَا صَبْرا وَثَبّتْ أَقْدَامنا** ﴾ البقرة / ٢٥٠ ، وقال تعالى : ﴿**ثم جَاهَدُوا وصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِهَا لَغَفورٌ رَحيمٌ** ﴾ النحل / ١١٠ . ولذلك جعل سبحانه التواصي بهذا الخلق من خصال المجتمع المؤمن ، ومن شروط النجاة من الخسران : فقال سبحانه : ﴿ **وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْر إِلاَّ الـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصّـالِحَاتِ ، وَتَواصَوْا بالحقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبرِ** ﴾ سورة العصر .

ومن ثمرات الصبر الثبات والشجاعة ، ولقد حث عليهما القرآن بشدة ، فقال عز وجل ﴿ **ياأيها الذينَ آمَنُوا إِذَا لَقيتُمْ فَئِةً فاثْبتوا** ﴾ الأنفال ـ الآية ٤٥ .

وأما الشجاعة ، فيكفيك فيها أن الاسلام اعتبرَ التولي يوم الزحف بالنسبة للمسلم كبيرة من الكبائر ، وموبقة من الموبقات ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أَيُّها الذين آمَنوا إذا لقيتُمُ الذينَ كَفَروا زَحفاً فَلا تُولُّوهُمُ الأَدْبَار ، وَمَن يُوَلِّهِمْ يومئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحرفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيزاً إِلى فِئَةٍ فقد بَاءَ بغضبٍ مِنَ الله وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المصيرُ** ﴾ الأنفال ـ الآيتان ١٥ ، ١٦ . وأن الرسول عليه الصلاة والسلام علمنا فيما ندعو التعوذ من الجبن « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل والجبن والبخل ، وضلع الدين (ثقل الدين) وغلبة الرجال »[٥٢] .

تلك هي نداءات رب العباد لجنده المؤمنين ، ولقد اثمرت تلك النداءات فامتثلها الجند ، يقودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب لهم المثل والأسوة ؛ فكان اصبر الصابرين ، وأشجع الشجعان ، واتبعه أصحابه ، وتأسوا به . واخبار صبره عليه السلام ، وثباته وشجاعته ،

اخرجنا إلا الجوع . فقمنا فدخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما جاء بكم هذه الساعة ؟ فقلنا : يا رسول الله جاء بناء الجوع ، قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بطبق فيه تمر ، فاعطى كل رجل منا تمرتين ، فقال : كلوا هاتين التمرتين ، واشربوا عليهما من الماء فانهما ستجزيانكم يومكم هذا . قال أبو هريرة : فأكلت تمرة وجعلت تمرة في حجزتي ، فقال رسول الله : يا أبا هريرة لم رفعت هذه التمرة ؟ فقلت : رفعتها لامي ، فقال : كلها فانا سنعطيك لها تمرتين ، فاعطاني لها تمرتين[٦٦] .

ويوم الأحزاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته يحفرون الخندق ، وقد شدوا على بطونهم الحجارة من الجوع[٦٧] .

وفي غزوة تبوك يقول عمر رضي الله عنه : خرجنا الى تبوك في قيظ شديد ، فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ؛ حتى إن كان احدنا ليذهب فيلتمس الرحل ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحر بعيره ، فيعتصر فرثه ، فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده . فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله ، إن الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا ، فقال : أو تحب ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فرفع يديه نحو السماء ، فلم يرجعهما حتى قالت السماء ـ أي تهيأت ـ فأطلت[٦٨] ثم سكبت ، فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر[٦٩] .

وأخرج أحمد والنسائي وغيرهما عن أبي ريحانة رضي الله عنه ، أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ، قال : فأوينا ذات ليلة إلى شرف (مكان عال) فاصابنا برد شديد حتى رأيت الرجال يحفر أحدهم الخندق ، فيدخل فيها ، ويلقي عليها جحفته (أي ترسه)[٧٠] .

وفوق الجوع والعطش كانوا رضوان الله عليهم يتحملون ويصبرون على قلة ذات اليد ، وقلة الثياب والأمراض والجراح في سبيل الله :ـ

عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال : لقد رأيت حمزة رضي الله عنه وما وجدنا له ثوبا نكفنه غير بردة اذا غطينا بها رجله خرج رأسه ، واذا غطينا رأسه خرجت رجلاه ، فغطينا رأسه ووضعنا على رجليه الإذخر[٧١] .

وعن أبي السائب رضي الله عنه أن رجلا من بني عبد الاشهل قال : شهدت أحدا انا واخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي : اتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ووالله مالنا دابة نركبها ، وما منا الا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحا منه ، فكان اذا

غلب حملته عقبة ومشى عقبة ، حتى انتهينا الى ما انتهى إليه المسلمون [٧٢] .

واخرج أحمد عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله صلى عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أرأيت ان قاتلت في سبيل الله حتى أقتل ، أمشي برجلي هذه (وكان أعرج) صحيحة في الجنة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقتلوه يوم أحد ، فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كأني أنظر إليه يمشي برجله هذه صحيحة في الجنة[٧٣] .

٤ ــ التضحية بالنفس والمال : وهذا الخلق الجهادي الكريم ثمرة أكيدة لما تقدم من الايمان باليوم الآخر ، وما فيه من القيم الخالدة ؛ فقد ربى الاسلام المجاهدين ، وأثبت في قلوبهم ان هذه الدنيا وما فيها إن هي إلا وسائل وطرقا يتوصل بها إلى السعادة الابدية في تلك الدار الباقية .

وقد أمر سبحانه عباده المؤمنين بالتضحية في هذه الدنيا بما جعل بين أيديهم من الوسائل ليحرزوا بها أربح تجارة وأحسن مصير ﴿ **إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المؤمنينَ أَنفُسَهُمْ وأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ في سبيلِ اللهِ ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً في التَّوراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرآنِ ، وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ، فاسْتَبشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذي بَايَعْتُم بِهِ ، وَذلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظيمُ** ﴾ التوبة الآية ١١١ . وقال عز وجل ﴿ **يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَليمٍ ، تُؤْمِنُونَ باللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ في سبيلِ اللهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنفسكُمْ ، ذلكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ الصف ـ الآيتان ١٠ ، ١١ .

وقد وردت كلمة الجهاد ومشتقاتها في احدى وأربعين آية من آيات القرآن[٧٤] . وأما الانفاق في سبيل الله ، والتضحية بالمال لاعلاء كلمة الله ، فقد ورد الحث عليه أحيانا مقترنا بالجهاد بالنفس ، وأحيانا أخرى مستقلا ، قال تعالى ﴿ **مَثَلُ الَّذِين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنبلةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ البقرة آية ٢٦١ ، وحينما فسر مكحول رضي الله عنه هذه الآية الكريمة قال : يعني بها الانفاق في الجهاد من رباط الخيل واعداد السلاح وغير ذلك[٧٥] .

ومما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قوله : « من ارسل بنفقة في سبيل الله ، وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ، ومن غزا بنفسه في سبيل الله ، وانفق في وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ، ثم تلا صلوات الله عليه وسلامه هذه الآية (والله يضاعف لمن يشاء) »[٧٦] .

وقد رأيت فيما تقدم كيف لبى الصحابة رضوان الله عليهم هذه الدعوة الربانية ، وعقدوا

الصفقة مع ربهم ، وتخلوا عن ملذات الحياة الفانية ، فربحوا بها السعادة الحقيقية . فكانوا أمثلة للناس في كل زمان ، يتأسى بهم ويقتدى في هذا الخلق العظيم .

٥ ــ الطاعة والنظام : فخلق الطاعة يعتبر أساساً مهما من أسس الروح العسكرية . وهو ما يطلق عليه في المصطلحات العسكرية تعبير (الضبط) . وقرر العلماء العسكريون أن الفرق بين الجندي الجيد والجندي الرديء أن الأول مطيع والثاني غير مطيع ، أي أن الأول يتحلى بالضبط المتين ، والثاني قليل الضبط . ويعرفونه بأنه إطاعة الأوامر وتنفيذها نصا وروحا بدون تردد عن طيبة خاطر وبحرص وامانة[٧٧] .

ولقد حض الله سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام على هذا الخلق باستفاضة كبيرة ؛ فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ النساء آية ٥٩ . وقال عز وجل ﴿ **مَنْ يُطع الرَسُول فَقَد أَطَاعَ الله** ﴾ النساء آية ٨٠ ، وأخبر عز وجل أن هذا الخلق أول صفات المؤمنين بعد الايمان فقال ﴿ **ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا** ﴾ النور الآية ٤٧ . كما أخبر سبحانه وتعالى أن التردد في الطاعة عند الأمر بالقتال مرض في القلوب وخصلة من خصال النفاق لا يصح أن يقع في القلوب المؤمنة فقال ﴿ **وَيَقُولُ الَّذينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ، فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذينَ في قُلوبهم مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْه مَنَ الْموتِ فَأَوْلى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ، فإذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا الله لَكَان خَيْراً لَهُمْ** ﴾ محمد الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطاعة في كثير من أحاديثه الشريفة ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني »[٧٨] ويقول عليه الصلاة والسلام (اذا كنتم ثلاثة في سفر فامروا أحدكم ، ذاك أمير أمره رسول الله)[٧٩] .

والجدير بالذكر أن هذا الخلق في المسلم ليس كما هو في غير المسلمين من حيث الأساس الذي يقوم عليه ؛ فهو يرتكز على أساس متين ، وينبثق من عقيدة في القلوب . ذلك أن اطاعة الأمير في غير معصية الله أمر يرتبط بسلامة الدين وصحة العقيدة وليس أمرا مبنيا على خوف من القائد ، أو خوف على الرزق ، وقيام هذا الخلق على هذا الاساس يجعله طبيعة للمسلم وخصيصة ملازمة له ، وليس مجرد صفة عارضة تذهب بذهاب سببها العارض ، كما هو الحال عند كثير من الذين يطيعون أمراءهم بسبب خوف أو طمع .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع أصحابه دائما على السمع والطاعة في العسر

واليسر والمنشط والمكره كما هو معلوم في السيرة العطرة[٨٠] ، ويدعوهم إلى ذلك كما في قوله عليه الصلاة والسلام « عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك وإثرة عليك »[٨١] .

وقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثال بالطاعة لله ولرسوله ولأولى الأمر . وتاريخ الصدر الأول من الاسلام مليء بأمثلة الطاعة التي أدت بالكثير من المسلمين إلى التضحية بالمال والنفس في سبيل الله تعالى . فلم يكن أحدهم مهما علت رتبته يأنف من طاعة أميره ، وكان ينزل عند أمر القائد ، مهما كان رأيه الخاص . فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه كان قائدا عاما على المسلمين في أرض الشام ، قاد المسلمين في معركة اليرموك الفاصلة إلى النصر . وعزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو في أوج انتصاراته ، لمصلحة عامة رآها في عزله ، فلم يأنف خالد من هذا الأمر ، وإنما أطاع الأمير ، وظل مشهرا سيفه في وجه أعداء الله عزوجل[٨٢] .

وينتج عن هذا الخلق خلق آخر ، يعتبر ـ أيضا ـ أساسا في الروح العسكرية وهو النظام ، لأن طاعة الأوامر يؤدي إلى الانتظام في كل حركة يقوم بها المسلم . ومن المعلوم أن لله في كل نشاط يقوم به المسلم في حياته حكما من أمر أو نهي أو اباحة . فجهاده في سلمه وحربه محكوم لهذه الأوامر والنواهي . والنتيجة جهاد منظم ليس فيه فوضى ولا عبث .

وقد أمر الله عز وجل بالانتظام في القتال ، فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾ الصف الآية ٤ .

٦ ــ الحذر واليقظة : وهذان الخلقان من تعاليم الدين الحنيف التي ربى عليه جنده في مواجهة الأعداء . فمما علمنا أنَّ الاستهانة بالعدو وعدم الاحتياط له والحذر منه يؤدي إلى الخسران ؛ لذلك وجه سبحانه لعباده المؤمنين هذا النداء ، فقال لهم : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُواْ حِذْرَكُمْ** ﴾ النساء آية ٧١ . كما نادى سبحانه قائد المؤمنين عليه الصلاة والسلام وقال له : ﴿ **فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ . وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسلحتكُم وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَميلُونَ عَلَيْكُم مَيْلَةً واحدةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُم مَرْضى أَنْ تَضَعُواْ أَسْلحَتَكُمْ ، وَخذُوا حِذْرَكُمْ ، إِنَّ اللهَ أَعَدَّ للكافرينَ عذاباً مُهيناً** ﴾ النساء الآية ١٠٢ . والمقصود بقوله تعالى (فليصلوا معك) صلاة الخوف . وقد شرعها الله سبحانه وتعالى للمجاهدين في وقت القتال ؛ بحيث يوفقون بها بين عبادة الله والتوجه إليه ، وبين ممارسة أعمال القتال . وفي هذا ايحاء عميق لجند الله بوجوب اليقظة والحذر من جهة ، ووجوب المحافظة على ذكر الله وعبادته من جهة أخرى ، والقتال والصلاة عبادتان لا يجوز للمؤمنين أن يغفلوا عن إحداهما ، فشرع لهم سبحانه ما به يحافظون عليهما جميعا .

ولقد تحلى جند الاسلام من الرعيل الأول رضوان الله عليهم بهذا الخلق العسكري في جميع

معاركهم ، وجميع أحوالهم ، وقد تقدم معك كيف كانوا لا يدعون السلاح ليلا ولا نهارا ، يبيتون فيه ، ويفيقون عليه ، استجابة لنداء ربهم بوجوب الحذر من العدو الذي عرفهم الله بنواياه ، وأنه لا يرقب في المؤمنين عهدا ولا ذمة .

٧ ــ أضف إلى جميع ما تقدم من الأخلاق الجهادية الايجابية أن الاسلام يطهر المسلم من كل خلق سلبي معطل عن الجهاد ، فمن المعلوم أن كل خلق أمر به سبحانه وحث عليه ، حرم في مقابله كل خلق مضاد :

أ ــ فحرم على المجاهدين أن يغفلوا لحظة عن الهدف الذي يجاهدون من أجله ، وهو اعلاء كلمة الله عز وجل . وحذرهم من أن تكون غايتهم شخصية أو انانية ، من جاه أو ذكر أو عصبية لقبيلة ، أو لتكون أمة هي أربى من أمة ، أو لمغنم دنيوي من مال وغيره .

ب ــ كما حذرهم من عصيان الله تعالى ، أو أن يرفضوا أمراً يصدره قائد الدعوة عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ **فَلْيَحذَرِ الَّذين يُخالِفُون عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصيبَهُمْ فِتْنَةٌ أو يُصيبَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ** ﴾ النور الآية ٦٣ .

جـ ــ وحرم عليهم اليأس والقنوط من رحمة الله ، قال تعالى : ﴿ **لَا تَقنطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله** ﴾ الزمر الآية ٥٣ . وقال تعالى : ﴿**وَمَن يَقنطُ مِنْ رحْمَةِ رَبِّهِ إلا الضَّالُّونَ** ﴾ الحجر ـ الآية ٥٦ . وقال أيضا : ﴿ **وَلَا تَيأسُوا مِنْ رَوْحِ الله ، إنَّه لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ الله إلا القومُ الكافرُون** ﴾ يوسف الآية ٨٧ . وفي غزوة أحد قال لهم ربهم تبارك وتعالى ﴿ **وَلَا تَهنُوا وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ ، إنْ يَمْسسكُمْ قَرحٌ فقدْ مَسَّ القومَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وتلك الأيَّامُ نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وليعْلَمَ الله الَّذينَ آمنوا وَيَتّخذَ مِنْكم شُهداءَ ، والله لا يُحبُّ الظَّالمين ، وليمحّصَ الله الَّذينَ آمنوا ، وَيَمْحقَ الكافرينَ** ﴾ آل عمران ـ الآيات ١٣٨ ـ ١٤١ .

د ــ واذا كان الله قد حرم عليهم اليأس والقنوط في الضراء ، فقد حرم سبحانه عليهم البطر في السراء ، فقال لهم عز وجل ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كالَّذينَ خَرجُوا مِنْ دِيارهِمْ بَطَراً ورئاء النَّاس وَيَصُدونَ عَنْ سَبيلِ الله والله بِما يعملُونَ مُحيطٌ** ﴾ الأنفال ـ الآية ٤٧ .

هـ ــ وحرم عليهم الجبن والخوف من الناس ، فقال تعالى لهم ﴿ **أَتَخْشَوْنَهُم فالله أَحقّ أَنْ تخشَوْهُ إنْ كُنتمْ مُؤمنينَ** ﴾ التوبة الآية ١٣ . وقد مر معك تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن . .

و ــ وحرم عليهم التولي يوم الزحف ، واعتبره من الموبقات ، فقال تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الَّذينَ آمنوا إذا لَقيتُم الَّذينَ كَفروا زحفاً فَلاَ تُولُّوهُمُ الأدْبار** ﴾ الأنفال ـ الآية ١٥ .

ز ــ وحذرهم من العزوف عن التضحية بالمال والنفس في سبيل الله عز وجل وقد تقدم معك أن الله سبحانه وتعالى اعتبر ذلك إلقاء لليد في التهلكة ، وعلمت أن هذا هو المراد من قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بأيْديكُم إلى التَّهلُكةِ** ﴾ الحج آية ٣٨ . أي بالقعود عن الجهاد بالنفس والمال .

ح ــ كما حذرهم من الاستغراق في الشهوات ، والارتباط بزينة الحياة الدنيا والتثاقل إلى الأرض . فقال عزوجل ﴿ **يا أَيُّها الَّذينَ آمنوا مَالكُمْ إذا قِيلَ لكُمُ انفروا في سبيلِ الله اثَّاقَلتُمْ إلى الأرضِ ، أرضيتُمْ بالحياةِ الُدنْيا مِنَ الآخرة ، فَمَا مَتَاعُ الحياةِ الدُّنيا في الآخرة إلا قليلٌ إلاَ تَنفروا يُعذبْكم عذاباً أليماً ويستبدِلْ قوماً غيركم ، وَلاَ تَضُروه شيئاً والله على كُلِّ شيء قديرٌ** ﴾ التوبة ـ الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .

ط ــ وحذرهم أيضا من الغرور بأنفسهم وكثرة عَددهم أو عُددهم ، ونسيان حقيقة أن النصر من عند الله لا من عند أنفسهم ، فقال لهم عن غزوة حنين حيث اغتروا فيها بكثرة عددهم في أول الأمر : ﴿ **وَيَوْمَ حُنين إذْ أَعجبتكُمْ كَثْرتُكُمْ ، فَلَمْ تُغْن عنكم شيئاً وَضاقَتْ عَلَيكُمُ الأرضُ بما رَحُبتْ ثُمَّ وَليتُم مُدبرينَ** ﴾ التوبة ـ الآية ٢٥ .

المطلب الثاني

الأخلاق الجهادية الجماعية

الأمة المجاهدة لابد لها ، علاوة على تلك الصفات الفردية التي يجب أن يتحلى بها أفرادها ، من أن تتصف بصفات جماعية تربط بين أولئك الأفراد الصالحين ، وتبني منهم أمة قوية متماسكة ، لا منفذ فيها لاعدائها .

وقد عني الاسلام بتثبيت هذه الصفات في المجتمع المسلم . ومن أهمها :

أولا : الوحدة :

مما لا شك فيه أن من عوامل النصر وحدة الأمة ، والدعوة إلى هذه الوحدة هي من طبيعة

الاسلام ، فهو الذي يزرع أصولها في قلوب المؤمنين ، ويمكن الشعور بها . ولا تدوم وحدة إلا إذا انعقدت عليها الضمائر والقلوب ، وقد يتجمع بعض الناس على أرض واحدة ، وتحت سيطرة حاكم واحد ، يجمعهم بالترغيب أو الترهيب ، ولكنها وحدة مزعزعة الأركان ، ضعيفة الأساس ، ستتفسخ إن عاجلا أو آجلا ، لأنها قامت على غير أساس متين ، وقد قال تعالى عن أمثال هؤلاء ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ، تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الحشر ـ الآية ١٤ .

إن الاسلام يستأصل من قلوب المؤمنين كل شعور بالاختلاف ، ويوحد بينهم بوسائل وأساليب كثيرة منها :

أ ـ فهو يعرفهم بوحدة أصلهم ، وأنهم انبثقوا من نفس واحدة ليثبت في عقولهم وقلوبهم أساس وحدتهم وتساويهم ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ النساء ـ الآية الأولى .

ب ـ وبعد أن يهيىء الاسلام قلوب اتباعه لقبول الوحدة ، يشرع في ادخالهم فيها بالفعل ، فيجمعهم أولا على عقيدة واحدة ، يؤمنون فيها برب واحد هو رب السموات والأرض والخلق أجمعين ، فيجتمعون على حبه وخشيته وتقواه ، والتوجه إليه بقلوبهم وأعمالهم ، والتلقي منه وحده سبحانه ، فتتوحد وجهة قلوبهم ومشاعرهم ، ويلتقون بها جميعا عند عبادة الله وحده ، فلا ينشأ في قلوبهم أي سبب للفرقة والاختلاف قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء الآية ٩٢ .

جـ ـ ثم يجمعهم الاسلام بعد ذلك على قيادة واحدة ، فلا يختلفون في طريقة التلقي عن ربهم ، وإنما يأخذون هدى الله عن طريق رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، قائدهم وقدوتهم ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ النساء ـ الآية ٦٥ .

د ـ ثم يجمعهم على تشريع واحد ، وأحكام واحدة ، يتساوى فيها الناس في الحقوق والواجبات لا يفرق فيها بين أبيض وأسود ، ولا بين قوي وضعيف ، ولا بين حاكم ومحكوم ، والكل سواء أمام القانون الاسلامي وأمام القضاء الاسلامي ، فليس لأحد خصوصية في ذلك ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (٨٣) .

هـ ــ كذلك يجمعهم الاسلام على قيم واحدة ، وأخلاق واحدة ، وموازين واحدة ، يزنون بها الأشخاص وأفعالهم ، بينها لهم ربهم في كتابه الكريم ، ورسوله عليه السلام في سنته الشريفة . وبذلك تتحد نظرتهم ووزنهم للناس ، وقياسهم للأعمال والأخلاق ؛ فكلهم يرفعون من رفع الله سبحانه ، ويخفضون من خفضه الله عز وجل ، ويجعلون المسئوليات في يد من تأهل بأخلاق الاسلام وقيمه ، ويحجبون الثقة عمن قصر في هذه المؤهلات .

و ــ أضف إلى ذلك أن الاسلام يجمع أهله على لغة واحدة ، هي لغة القرآن ، ولغة رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام .

وهكذا فإن الاسلام لا يترك منفذا للفرقة إلا سده ، ولا طريقا للوحدة إلا سلكه .

ولقد جربت البشرية في حقبة من الزمن هذه التربية الربانية ، فأخرجت للوجود بها أمة موحدة متآلفة ، لا مكان فيها للفرقة والاختلاف . فقد كانت أمة العرب قبل الاسلام مضرب المثل في التناحر والتنافر ، حتى منّ الله عليهم بهذا الاسلام ، وبمحمد عليه الصلاة والسلام ، حامل راية هذا الدين ، فصاح بهم صيحة التوحيد ، فوثب المختلفون الممزقون المتناثرون الساجدون للآت والعزى ومناة ، وغسلوا جباههم ، وطهروها من دنس الشرك ، ونظفوها من رجس الخضوع لغير الله عز وجل . وسجدوا لله الواحد القهار ، وساروا جميعا على درب واحد ، يعبدون إلها واحدا ، هو رب الأرباب ، وينقادون لقائد واحد ، هو المصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوا غيرهم إلى المسيرة ، من عباد النار وعباد الهوى من فرس وروم وغيرهم ، فانضموا إلى ركبهم ، وأصبحوا جميعا بنعمة الله اخوانا ، فتجمع في المجتمع الاسلامي العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والهندي والصيني والروماني والاندونيسي والافريقي وغيرهم على قدم المساواة وبقلوب موحدة الهدف ، موحدة الاتجاه [٨٤] .

لذا تدرك أخي القارىء أن طريق الوحدة والقوة هو الرجوع إلى الاسلام ، وأنه لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وأن من العبث ، وخيانة الامانة ، وتضييع الوقت ، أن تطلب الوحدة بغير سبيل الله سبحانه وتعالى .

ثانيا ـ توثيق الرابطة :

والاسلام بعد أن يوحد بين أهله . في العقيدة والقيم والاخلاق والأحكام ، فإنه يشدهم بعضا إلى بعض ، بأوثق الروابط التي يمكن أن تكون بين البشر ؛ ليحافظ عل تلك الوحدة ويوثقها بين المؤمنين ، وهذه هي رابطة الأخوة في الدين ، فيقرر سبحانه لهم قرارا يدعوهم إلى تحقيق مضمونه في حياتهم الواقعية ، ويقول لهم ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات ـ الآية ١٠ .

وتقتضي هذه الأخوة الحب والايثار ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ الحشر ـ الآية ٩ .

ومن ثمرات هذه الرابطة الاصلاح بين الإخوة ، قال تعالى : ﴿ **فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ الحجرات ـ آية ١٠ . والتواصي بالحق والخير قال عز وجل : ﴿ **وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ سورة العصر .

ومن ثمراتها أيضا التعاون على البر والتقوى ، قال تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ المائدة ـ آية ٢ . والنصرة بالعدل والحق ، قال تعالى : ﴿ **وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاق** ﴾الأنفال ـ الآية ٧٢ . وقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ **انصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً** ﴾[٨٥] .

ومن ثمراتها أيضا حب الخير للأخوة ؛ قال عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٨٦] . وكذلك قضاء الحاجة لهم وسترهم وعدم التشهير بهم والتيسير عليهم في عسرهم ؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه[٨٧]) ويقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ﴾ النور الآية ١٩ .

ومن مقتضيات هذه الرابطة كف الأذى عن الأخوة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره . التقوى ههنا ـ وأشار إلى صدره ـ ثلاث مرات . بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه)[٨٨] .

وإذا كانت هذه هي الصورة التي يرسمها الاسلام لرابطة الأخوة بين المؤمنين ، فإن الناظر يجد لها التطبيق العملي التام في حياة الصحابة رضوان الله عليهم . ومن أبرز صور هذه الأخوة الايمانية ، ما نقلته لنا كتب السيرة باسانيد صحيحة عن التزام أولئك الأخيار بما عقده الرسول عليه الصلاة والسلام بينهم من المؤاخاة في أول مقدمه للمدينة المنورة ، يقول ابن اسحاق : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال لهم (تآخوا في الله أخوين

أخوين) . . وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة أخوين ، وكل واحد من الأنصار اتخذ له أخا من المهاجرين يحبه ويؤثره على نفسه ، بل كانوا في بداية العهد المدني يتوارثون على أساس هذه الأخوة ، لا على أساس قرابة الدم . ثم جعل الارث بعد ذلك على أساس القرابة . ومن صور الايثار المبني على هذه الأخوة أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قدم المدينة فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فقال له سعد : أي أخي ، أنا أكثر أهل المدينة مالا ، فانظر شطر مالي فخذه ، وتحتي أمرأتان ، فانظر أيهما أعجب اليك حتى اطلقها ، فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلوني على السوق ، فذهب واشترى وباع فربح [٨٩] . . . . .

والذي ينبغي أن لا يغيب عن الذهن أن قوة الرابطة بين المؤمنين هي من أهم مؤهلات النصر في قتال الأعداء ، وهو ما يسمى اليوم بتماسك الجبهة الداخلية ، والذي غدا في هذه الأيام شعارا لا مضمون له بعد أن أدار الناس ظهورهم لدين الله عز وجل ، ويمموا وجوههم شطر أهوائهم وزينة الدنيا ، من مال وجاه وسلطان .

إن مادة هذا التماسك المتينة لا يصنعها إلا أخوة الايمان ورابطة العقيدة ؛ فإنه لا يوجد سبب للتوحيد والتعاون بين البشر كالتآلف والتحاب ، ولا يوجد سبب للتحاب والتآلف كأخوة الايمان ، قال الله عز وجل ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾ الأنفال ـ الآيتان ٦٢ ، ٦٣ ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : (قرابة الرحم تقطع ، ومنة النعمة تكفر ، ولم ير مثل تقارب القلوب) ، ثم قرأ الآية السابقة ، وفي رواية أخرى عنه (أن الرحم لتقطع ، وإن النعمة لتكفر ، وأن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء) [٩٠] .

إن الأضغان الموروثة بين البشر ، وأوتار الدماء المسفوكة ، وحمية الجاهلية وعصبيتها ، لا تزول بالأغراض الدنيوية العارضة ، وإنما تزول بالايمان الصادق ، الذي يوحد القلوب في وجهتها ومشاعرها ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى) قالوا : يا رسول الله ، تخبرنا من هم ؟ قال : (هم قوم تحابوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، والله إن وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس) . [٩١]

وقد جربت هذه الأخوة ، فأخرجت للبشرية أقوى أمة وأمتنها ، تحطمت أمام رابطتها القوية جميع دسائس الأعداء ، وبخاصة اليهود الذين لا يعيشون إلى على تفرق الشعوب وتفسخها

وضعف رابطتها ، وان من يدرس التاريخ ليلاحظ كيف كان اليهود في المدينة المنورة ، قبل تشريف أهلها بالاسلام وأخوة الايمان ، علوا فيها واستكبروا استكبارا ، وكانوا يقتاتون على تناحر الأوس والخزرج من العرب ، فلما حل فيهم دين الله ، ونعم الأوس والخزرج برابطة الأخوة في الله ، تلاشت تلك الغطرسة اليهودية ، وذلت تلك الكبرياء المبنية على الفساد ، حيث فقدت أساس وجودها ، بعد أن قضى الاسلام على كل فرقة واختلاف بين سكان المدينة من المسلمين . ويلاحظ أن هذه الكبرياء عادت تتغذى على فرقة أمتنا واختلافها في هذه الأيام ، بعد أن اتخذت دين ربها ظهريا . كما يلاحظ كيف يحرص أعداؤها على محاربة الاسلام وما أتى به من الرابطة الوثيقة والحبل المتين ، ويخادعون أبناءها بما يزينون لهم من البدائل الكثيرة من الروابط الواهية التي لم يقصد بها سوى تعميق الغفلة عن تلك الروابط القوية التي جاء بها الاسلام .

إن السلف الصالح تعرض لمثل هذه المحاولات الكافرة التي دأب عليها أعداء الاسلام ، وخاصة اليهود ، لقطع تلك الرابطة الربانية باثارة العصبيات القديمة والنعرات القبلية ، وروابط الدم ، فكان المسلمون بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبطونها ، بالرجوع إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والتمسك بكتابه ، وبالأخوة الايمانية ، ومن أمثلة هذه المحاولات ما رواه المفسرون أن شاس بن قيس اليهودي ، وكان شيخا عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم مر على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من جماعتهم وإلفتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع ملأ بني قيلة[٩٢] بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ، فأمر فتى شابا من يهود وكان معه ، فقال : أعمد إليهم ، فاجلس معهم ، وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ، ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا ، حتى توائب رجلان من الحيين على الركب . . . ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رددناها الآن جذعة[٩٣] ، وغضب الفريقان وقالوا : قد فعلنا السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة [٩٤] ، فخرجوا إليها ، وانحاز كل إناس إلى قبيلتهم ، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم فقال :
يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد إذ هداكم الله إلى الاسلام، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟ فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد اليهود ، ونزل قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ(٩٥) ﴾ . آل عمران ـ الآية ١٠٠ .

وهذا هو أسلوب أعداء الاسلام من أهل الكتاب في التفريق بين المسلمين ، وذلك دواؤه ، ومازال لليهود أسلوبهم في الكيد والمكر والفتنة ، ولا ينفع معه إلا ذلك الدواء الرباني الناجح ، وكل لافتة ترفع في هذه الأيام لابراز أية رابطة بديلة عن رابطة العقيدة وأخوة الايمان ، سواء أكان رابطة القومية أم الوطنية أم الأقليمية ، أم غيرها ، فإنما هي لافتات يمسك بمقابضها أعداء أمتنا وأعداء ديننا من يهود وصليبيين(٩٦) . وأن يعجب الانسان فالعجب من أمة لا تستفيد من تجاربها وخبراتها : صلح أمرها بالاسلام ، وارتفعت رايتها به ، وعزت بكتاب الله وسنة رسوله ، آماداً طويلة ، فلما ابتغت العزة بغير الاسلام أذلها الله ، ومكن منها أعداءها ، وسلط عليها شرار الناس ، ومازالت سادرة في غفلتها . فلينتبه الغافلون من أبناء المسلمين ، ليحولوا مسيرتهم إلى هدى الله تعالى ، فإنه لا يصلح أمرهم إلا بما صلح به أمر سلفهم الصالح المهتدي .

ثالثا : اخلاص الولاء لله ورسوله والمؤمنين :

والاسلام بعد أن يوثق العلاقة بين أهله بأخوة الايمان ، وبعد أن يوحد بينهم في المسيرة والهدف ، فإنه يقطع الطريق على أعدائهم ، فلا يترك لهم أي منفذ ينفذون منه إلى أمة الاسلام ، فيطلب من المسلمين أن يقطعوا ولاءهم لأي كافر مهما كان ، قريبا أو عشيرة أو غير ذلك ، وأن يخلصوا في ولائهم لله ورسوله والمؤمنين ، وإلا فمن اتخذ الكافر وليا فإنه مثله ، ولا يجوز أن يعيش بين أظهر المسلمين(٩٧) ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ المجادلة ـ الآية ٢٢ . ويقول عز وجل فيمن يوالي أهل الكتاب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . . . ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ المائدة ـ الآيات من ٥١ ـ ٥٦ .

وسبب نزول هذه الآيات الكريمة أن امرأة من المسلمين قدمت بجلب لها فباعته في سوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها ، فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديا ، فشدت اليهود على المسلم ، فقتلوه ،

فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فلما كان ذلك من بني قينقاع حاصرهم الرسول عليه الصلاة والسلام ، حتى أمكنه الله منهم ، فقام المنافق عبد الله بن أبي بن سلول يشفع فيهم ويشير من طرف خفي إلى فتنة تحدث في المدينة إذا لم يقبل الرسول شفاعته . هذا في الوقت الذي وقف فيه عبادة بن الصامت رضي الله عنه موقفا من يهود بني قينقاع مناقضا لموقف ذلك المنافق مع أنه كان حليفهم ، فتبرأ منهم ، وتولى الله ورسوله . وخشي الرسول عليه الصلاة والسلام أن يجر الأمر إلى فتنة ، فاكتفى باجلاء بني قينقاع من المدينة . ثم نزلت الآيات تبين نفاق عبد الله بن أبي بن سلول ، وتبين أن الايمان وموالاة أعداء الله لا يجتمعان(٩٨) .

ومما ورد في النهي عن موالاة الأعداء قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدَوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِنَ الْحَقِّ** . . . ﴾ الممتحنة ـ الآية الأولى . وسبب نزول هذه الآية أن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتب كتابا إلى أهل مكة حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزوهم يعلمهم فيه حال مسيره إليهم ، وأنفذه مع سارة مولاة لبني عبد المطلب ، فأطلع الله نبيه إليها ، فأنفذ عليا والزبير في إثرها حتى أخرجاه من قرن رأسها ، فدعا حاطبا وقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : والله يا رسول الله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما كفرت ولا بدلت ، ولكني امرؤ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد ، فطالعتهم بذلك ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله ، فقال : صدق ، لا تقولوا له إلا خيرا ، فقال عمر : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه ، فقال : أليس من أهل بدر ؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد وجبت لكم الجنة . فأنزل الله الآية السابقة(٩٩) ، مبينا أنه لا يجوز لأحد من المؤمنين أن يمالىء المشركين أو يميل إليهم أو يحابيهم في نصرة دين الله ، ولو كانوا أولي قربى ؛ فإن حق الله أوجب ، ونصرة دينه ألزم(١٠٠) .

ومن أمثلة صدق الولاء لله والرسول وللمؤمنين موقف المؤمن الصادق عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ، حينما بلغه عن أبيه أنه قال في حق رسول الله والمؤمنين (ليخرجن الأعز منها الأذل) ، حيث أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري ، فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا . ولما قفل الناس راجعين إلى المدينة بعد غزوة بني المصطلق وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة ،

واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه : وراءك ، فقال : مالك ؟ ويلك ، فقال : والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه العزيز وأنت الذليل ، ومنعه من دخول المدينة حتى أذن له الرسول عليه الصلاة والسلام[١٠١] .

ومن مواقف الولاء الصادق لله ورسوله ذلك الموقف الرباني الذي وقفه سعد بن معاذ رضي الله عنه ، من يهود بني قريظة ، وكانوا حلفاء الأوس ، (وهو سيد الأوس) ، وذلك عندما مكن الله رسوله منهم ، بعد أن خانوا العهد ، وكادوا ينحازون للأحزاب في غزوة الخندق ، حيث خيرهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن يحكم فيهم ، فاختاروا سعد بن معاذ لهذه المهمة آملين أن يحابيهم في حكمه أو يخفف عنهم ما يستحقونه من النكال . ويؤثر عنه عندما اختير لهذه المهمة أنه قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم .

ولما أخذ الموافقة على الحكم ، من المسلمين ومن اليهود ، قال : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتغنم الأموال وتسبى الذراري والنساء ، وزاد بعضهم (وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار) ، وعلل ذلك فقال : أحببت أن يستغنوا بذلك عن اخوانهم الأنصار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة) أي السموات السبع [١٠٢] .

ومن هذه المواقف موقف زوج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رضي الله عنها من أبيها أبي سفيان ، عندما قدم المدينة قبيل فتح مكة في محاولة لابقاء الصلح قائما بين المسلمين ، بعدما نقضته قريش وحلفاؤها ، حيث دخل عليها ، فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله عليه الصلاة والسلام ، طوته عنه ، فقال : بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ فقالت : بل هو فراش النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنت مشرك نجس . قال : والله لقد أصابك بعدي شر . فقالت : بل هداني الله تعالى للاسلام ، وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر[١٠٣] .

إن هذه الخصيصة العظيمة في مجتمع الايمان تعتبر سياجا قويا يحميه من جميع محاولات الأعداء في التجسس عليه ، ومعرفة أسراره وأخباره . وإذا أردت أن تعرف قيمة هذه الخصيصة ، فانظر إلى أمتنا بعد أن توزع ولاؤها بين هذا المعسكر أو ذاك من معسكرات الكفر ، فلم يبق لها سر إلا عرفه الأعداء ، فهذا يمد مولاه في الشرق بأسرار أمته ، وذلك يمد مولاه ، وتبقى الأمة المغلوبة على أمرها مكشوفة أمام أعدائها . وتعجب بعد ذلك كل العجب ، كيف لا يثوب أبناؤها إلى رشدهم ، فيرجعون إلى ربهم ودينهم ، فلا يكون ـ عندئذ ـ بينهم منافق ولا جاسوس ، ولا يكون لهم ولاء إلا لربهم ورسوله وأمتهم .

رابعا ـ الاستقلال والتميز :

لا تكون أية أمة من الأمم مؤهلة للجهاد ، إذا كانت تدور في فلك غيـرها من الأمم . والاسلام كما يوجد مجتمع الايمان ، ويوثق رابطته ، يحرره من أية تبعية لأي مجتمع آخر ، ويجعل له شخصية مستقلة وكيانا متميزا ، فلا يعود ذيلا للمجتمعات الأخرى ، ومصبا لعاداتها وتقاليدها ، ولا إمعة ذائب الشخصية .

إن الاسلام يوجد مجتمعا متميزا بعقيدته ، التي تقوم أساسا على التحرر من العبودية للبشر ، واخلاص العبودية لله وحده . ومتميزا بأخلاقه وقيمه وعاداته وتقاليده ، لأنها مأخوذة من تلك العقيدة . ولا يسمح بتقليد يأتيه من شرق أو غرب ، إلا إذا وزنه بميزانه ، وعرف أنه غير متناقض مع تلك العقيدة وتلك القيم الربانية ، وإلا سد أمامه السبيل .

كذلك يوجد مجتمعا متميزا ومستقلا بنظمه وتشريعاته ، لأن أصولها وقواعدها من عند الله عز وجل ، وفروعها مشتقة من تلك القواعد والأصول الربانية .

خامسا ــ اعلاء القيم الجهادية :

من البدهيات أن خلقا من الأخلاق لا يسود في مجتمع ، إلا إذا قدره أبناؤه ورفعوه ، وجعلوه أساسا في تقدير الأشخاص ، وإسناد المسئوليات إليهم . وإلا فإنه يضمر في المجتمع ، ويقل أهله المتخلقين به .

وهذه قاعدة من القواعد التي تحكم الحياة الاجتماعية بين البشر ، وعلى ضوئها تستطيع أن تفسر ما يؤول إليه حال قوم من انتشار الرذائل والقيم الهابطة ، وضمور كثير من الفضائل والقيم العليا ؛ فإن هذه ثمرة طبيعية لما يربى عليه المجتمع ، بوسائل مختلفة ، يمسك بها أناس غفلوا عن ذكر الله ، من حب الشهوات ، والتثاقل إلى الأرض ، ونبذ القيم العالية ؛ حتى يعلو فيه شأن كل أمر تافه لا يستحق الاعتبار ، وينخفض فيه كل أمر حقه العلو والارتفاع ، وبذلك يرتفع الجاهلون والمنافقون والقاعدون وشرار الناس ، وينبذ العلماء والصادقون والمجاهدون وخيار الناس .

أما الاسلام ، الدين الذي ارتضاه الله للعباد ، فإنه يربي أتباعـه على التعلق بكـل قيمة سامية ، وخلق قويم ، وجميع خصال الخير ، ويكره إليهم أضدادهـا . فإذا نـظرت إلى مجتمع الايمان وجدت فيه الكلمة المسموعة لأهل الفضل والخير والعلم والجهاد والتقوى ، والدعوة إلى سبيل الله تعالى . ولا تعجب بعد ذلك إذا رأيت الناس يتنافسون في هذه الخصال ، فتنمو فيهم نموا كبيرا ، ويربون عليها أنفسهم وأبناءهم .

وما ذلك إلا ثمرة للتربية الالهية الحكمية لعباد الرحمن ، حيث علمهم ربهم أن المكانة العليا بينهم يجب أن تكون للمجاهدين ، والرفعة للدعاة إلى الله عز وجل ، والثقة للعلماء العاملين ، والكرامة للأتقياء الصالحين ، فقال عز وجل : ﴿ **لاَ يَستَوي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ غَيرُ أُولي الضَّرَرِ والمُجاهِدُونَ في سَبيلِ الله بِأموالِهِمْ وَأنفسهم** ﴾ النساء الآية ٩٥ ، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَستَوي الذينَ يَعْلَمُون والَّذينَ لا يَعْلَمُون** ﴾ الزمر ـ الآية ٩ ، وقال ﴿ **إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتقاكُمْ** ﴾ الحجرات ـ الآية ١٣ ، وقال سبحانه : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قولاً مِمَّنْ دَعَا إلىَ الله** ﴾ فصلت ـ الآية٣٣ ، وقال أيضا﴿**وَضَرَبَ الله مثلا رَجُلين أَحدُهُمَا أَبْكَمُ لايقدِر عَلَى شَيءٍ، وَهُوَ كَـلٌّ عَلَى مَوْلاه ، أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخيرٍ ، هَلْ يَستوي هُوَ وَمَن يأمُرُ بالعدلِ وَهُوَ عَلَى صِراط مُستقيم** ﴾ النحل ـ الآية ٧٦ ، وقال أيضا ﴿ **قُلْ هَلْ يستوي الخبيثُ والطيبُ ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرةُ الخبيثِ** ﴾ المائدة ـ الآية ١٠٠ .

ولقد أثمرت هذه التربية ثمراتها الطيبة في المجتمع المسلم الأول وتمسك بها أبناؤه ، حكاما ومحكومين . وأذكر في هذا المقام بعض الأمثلة التي توضح كيف كان أولئك المهتدون يرفعون من رفعه الله عز وجل ، ويؤخرون من أخره الله ؛ حتى كان ذلك حافزا لمن تأخر أن يتقدم ، ومن سبق أن يزداد من الخير والفضل :

من ذلك أنه حضر أناس باب عمر رضي الله عنه ، وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب والشيوخ من قريش ، فخرج آذنه ، فجعل يأذن لأهل بدر ، كصهيب وبلال وعمار رضي الله عنهم ، فقال أبو سفيان ما رأيت كاليوم قط : أن يؤذن لهذه العبيد ، ونحن جلوس لا يلتفت إلينا ، فقال سهيل بن عمرو : إني والله قد أرى الذي في وجوهكم ، فإن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم : دعي القوم ودعيتم ، فاسرعوا وأبطأتم ، إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله عز وجل أن يرزقكم الجهاد والشهادة ، ثم نفض ثوبه ، فقام فلحق بالشام[١٠٤] .

فانظر كيف كان لهذا الخلق الجماعي الذي غرسه الاسلام في قلوب المؤمنين أثر فعال في استخراج القوى والطاقات من النفوس ، حتى لا يبقى إنسان عنده ذرة من خير إلا وأظهرها ونماها وقواها . وقارن هذا بما غدت عليه أمتنا بعد أن أسلمت قيادها لمن لا يعرفون الله ، ولا يعرفون إلا ذواتهم وشهواتهم ، فربوها على إعلاء القيم الهابطة ، وهجر تلك القيم الجهادية ، حتى غدا التنافس بينها في تلك القيم المخذلة ، وصار عندها التعامل بالأخلاق الجهادية من قوة ورجولة وثبات تجارة بائرة منبوذة ، لا يتاجر بها إلا قليل من الناس الذين غدوا غرباء عن أمتهم .

وأضرب لك مثلا آخر يعطيك صورة عملية لأثر هذا الخلق العظيم في استخراج الهمم

ونهوضها : وهو موقف الأمة المسلمة بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أولئك المخلفين الثلاثة ، الذين قعدوا عن الجهاد ، لما دعي المسلمون إلى غزوة تبوك ، وهم كعب بن مالك ومرارة ابن الربيع وهلال بن أمية ، ومع أن هؤلاء الثلاثة لم يكن تخلفهم عن شك ونفاق ، لكن موقف الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته منهم ، كان صارما وقاسيا ، مقابل تقاعسهم عن عمل عظيم رفعه الله ورسوله والمؤمنون ، وهو الجهاد لاعلاء كلمة الله عز وجل ؛ فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يكلمهم أحد من المسلمين ، فاعتزلهم الجميع ، وتغيروا لهم حتى ضاقت عليهم أنفسهم ، ولبثوا على ذلك خمسين ليلة ، ولما مضت أربعون ليلة منها ، بعث إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يعتزلوا نساءهم ، فقال كعب لامرأته (الحقي بأهلك حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض) . . .

وأما هلال بن أمية ، فقد جلس في بيته يبكي ، وامتنع عن الطعام ، يواصل اليومين والثلاثة ما يذوق طعاما ، إلا أن يشرب الشربة من الماء ، أو القليل من اللبن ، ويصلي الليل ، ولا يخرج من بيته ، لعلمه أن أحدا من الناس لا يكلمه ، حتى إن والديه ليهجرانه ؛ امتثالا لأمر القائد عليه الصلاة والسلام ، وجاءت امرأته فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، وأنا أرفق به من غيري ، فإن رأيت أن تدعني أخدمه فعلت ؟ ، فقال لها الرسول : نعم ، ولكن لا تدعيه يصل إليك ، فقالت : يا رسول الله ما به من حركة إلىّ ، والله مازال يبكي ، منذ كان من أمره ماكان إلى يومه هذا ، وإن لحيته لتقطر دموعا الليل والنهار ، ولقد ظهر البياض على عينيه حتى تخوفت أن يذهب بصره[١٠٥] . . .

هكذا كان موقف الأمة الربانية ممن يتقاعس عن الجهاد ذروة سنام الاسلام ، وهكذا كان أثر هذا الموقف في المتخلفين ، وهذا لعمر الحق هو التواصي بالحق والصبر الذي أمرنا الله به ، وهذا هو المنهج العظيم في علاج المرضى وحفز الكسالى .

وفي هذه الحادثة بالذات موقف آخر للمسلمين يعطيك صورة لفرحهم برجوع المخلفين إلى الله وتوبتهم وقبولها ، بعد أن صاروا إلى حالة وصفها ربهم بقوله : ﴿ **حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيهِمُ الأَرضُ بما رحبت ، وَضَاقَتْ عَلَيهِمْ أَنفُسُهُمْ وظَنوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ الله إِلاَّ إِليهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيهِمْ لِيَتُوبُوا ، إِنَّ الله هُوَ التَّوابُ الرَّحِيمُ** ﴾ التوبة ـ الآية ١١٨ . لقد فرح المسلمون لنزول القرآن معلنا قبول الله توبتهم فرحة لا تقل عن فرح المخلفين أنفسهم ؛ يقول كعب بن مالك : بعد أن كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ، فلما كان صلاة الفجر صبح تلك الليلة سمعت صوتا فوق جبل سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، فخررت ساجدا ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن ، أي أعلم بتوبة الله علينا ، فلما

جاءني الرجل الذي سمعت صوته يبشرني ، نزعت له ثوبيّ ، فكسوته اياهما ببشراه ، ووالله لا أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت من أبي قتادة رضي الله عنه ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله ، فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة ، يقولون ليهنئك توبة الله عليك . . . فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك أمك ، قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله عز وجل ؟ قال : لابل من عند الله . فقلت يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ، فقال رسول الله : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك[١٠٦] . .

فانظر إلى القيم التي يتعامل بها هؤلاء الناس : ماذا يكرهون ؟ وماذا يحبون ؟ وعلى أي شيء يتلاومون ويتعاتبون ؟ وفي أي شيء يتنافسون ؟ وبأي شيء يفرحون ؟ وبأي شيء يبشرون بعضهم بعضا ؟ وعلى أي شيء يهنئون بعضهم بعضا ؟

الجهاد ، التوبة ، الصدقة والانفاق ، حب الله ، وحب الرسول صلى الله عليه وسلم : هذه هي القيم الربانية التي كانوا يتعاملون بها ويحرصون عليها ، ويزنون بها الأشخاص والأفعال والأحوال ، فلما كانت بينهم رائجة نصرهم الله على عدوهم نصرا مؤزرا . ولما جفاها الناس في هذه الأيام ، واستبدلوا بها قيم الدنيا الزائلة ، انتقم الله منهم ، فسلط عليهم عدوهم ، وسلط بعضهم على بعض ، ومازالوا سائرين إلى الهاوية ، وليس من مخرج ، والله ، من هذه المصائب كلها إلا بالرجوع إلى تلك القيم والتعامل بها ، ونبذ غيرها .

سادسا ــ التنظيم :

يبني الاسلام أمة منظمة في كل جانب من جوانب الحياة ، وفي كل حال من أحوالها ؛ ذلك أنه لا تصلح أمة للجهاد حتى تكون منظمة .

وليس هناك مجال من مجالات الحياة إلا وللاسلام فيه منهج ونظام : في السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، وفي السلم والحرب . وليس من مجال أو ميدان للجهاد ، الا وجعل الاسلام للجهاد فيه نظاما دقيقا يلزم المسلمين اتباعه ؛ بحيث لا يوصل الجهاد فيه إلى الغاية الشرعية المطلوبة إلا باتباع ذلك النظام : فجهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد المنكر والفسق وأهلها ، وجهاد الظلم والظلمة من الحكام وغيرهم وجهاد الكفار ، كل ذلك يخضع لتعاليم إسلامية واضحة[١٠٧] ، يعتبر المتجاوز لها مسيئا يستحق العقوبة في الآخرة ، فضلا عن حبوط عمله في الحياة الدنيا ، بمعنى عدم صلاحيته لانتاج المعاني والنتائج المرجوة .

فجهاد النفس مثلا يجب أن يكون بمتابعة الشرع في الأوامر والنواهي ، وتعلم الحق من

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسير الصحابة والصالحين ولا يجوز أن يكون بالتصورات والتخيلات والرياضات والاجتهادات الخاصة التي لم يشرعها الله سبحانه ولا رسوله عليه الصلاة والسلام ؛ يقول أبو حامد الغزالي : (خلاصة العلم أن تعلم الطاعة والعبادة ، واعلم أن الطاعة والعبادة متابعة الشارع في الأوامر والنواهي بالقول والفعل ، يعني : كل ما تقول وتفعل وتترك قولا وفعلا يكون باقتداء الشرع : كما لو صمت يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصيا ، أو صليت في ثوب مغصوب ، وإن كانت صورة عباده ، تأثم . فينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقا للشرع ؛ إذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة . وينبغي لك أن لا تغتر بالشطح وطامات الصوفية ؛ لأن سلوك هذا الطريق يكون بالمجاهدة ، وقطع شهوة النفس ، وقتل هواها بسيف الرياضة ، لا بالطامات والترهات)[١٠٨]

وكذلك جهاد الشيطان له طرقه وأساليبه ، وقد عني بعض علماء المسلمين في الماضي والحاضر بوضع مصنفات تبين تلك الطرق ، بعد بيان أساليب الشيطان ومداخله[١٠٩] .

وكذلك جهاد المنكر والفسق والظلم له قواعد وآداب ، هي القواعد والآداب التي يجب اتباعها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد عني بعض العلماء بذكر واستنباط أحكام هذه الفريضة ، بصورة تفصيلية ، مثل : الماوردي وأبي يعلي في (الأحكام السلطانية) والغزالي في (إحياء علوم الدين) ، وابن تيمية في كتاب (الحسبة في الاسلام) ، وأبي بكر الخلال في كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، وابن حزم في (المحلى) ، وغيرهم[١١٠] .

وكذلك جهاد الكفار وقتالهم ، فقد شرع الاسلام للجيش المسلم نظاما خاصا لكل حركة يتحركها ، من وقت الاعلان عن القتال إلى مابعد إنتهاء المعارك ، وقد عني العلماء المسلمون قديما وحديثا بوضع مصنفات تبين نظم القتال الاسلامية[١١١] .

سابعا ــ الاعداد المادي :

يضاف إلى جميع ما تقدم من القوى المعنوية التي يشحن الاسلام بها الأمة الاسلامية أنه يدعوها إلى الاهتمام باعداد القوة المادية حتى يجعل ذلك من خصائصها وشيمها ، يقول الله عز وجل : ﴿ **وَأَعِدّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ الله يَعلَمُهُم** ﴾ الأنفال ـ الآية ٦٠ .

كما حث الاسلام المؤمنين على تعلم جميع أساليب القتال ومؤهلاته من رمي وركوب الخيل والرباط في سبيل الله ، وتربية الأبناء على الرجولة والخشونة وغير ذلك[١١٢] .

بل إن الاسلام ليعتبر أي إعداد للقتال عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه ، كالصلاة والصوم والصدقة ، بل ذهب بعض العلماء إلى أنه أفضل من صلاة التطوع[١١٣] .

وفي الحث على الاعداد للقتال أخبار كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلها تفصل ما دعت إليه الآية الكريمة السابقة من وجوب استفراغ الوسع في إعداد القوة ، وحيازة وسائلها ، لتكون سببا في إرهاب عدو الله والمسلمين . فيدخل في ذلك توفير السلاح المكافيء لسلاح العدو على الأقل ، والتدرب عليه ، والمرابطة في الحدود والحراسة فيها ، وبناء ما يحتاج إليه من القواعد والحصون والقلاع والأسوار ، وحفر الخنادق إذا دعت إليه الحاجة ، وغير ذلك من الاحتياطات اللازمة[١١٤] :

أ ــ أما توفير السلاح فلما تقدم من الآية الكريمة التي دعت إلى اعداد القوة الكافية لايقاع الرهبة في قلوب الأعداء الظاهرين والمستترين ، فيكون ذلك مقدمة لكبح عدوانهم ، ولهزيمتهم إذا هاجمهم الجنود المسلمون .

وهذا يقتضي أن تحصل الأمة على السلاح بكل وسيلة مشروعة ، ويقتضيها أن تؤمن المال ، والامكانات المجموعة من الأكفاء القادرين على صنع السلاح وتجهيزه وتمويله ، والتدرب عليه ، فتسد حاجة الأمة في هذا المضمار .

من أجل هذا ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أن يربوا الخيول ، ويحتبسوها استعدادا لنزال العدو الذي يصد عن سبيل الله تعالى ، والدفاع عن بيضة الاسلام إذا اعتدي عليها ، ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتبس فرسا في سبيل الله ، ايمانا بالله وتصديقا بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة[١١٥] » ، أي أنها تحتسب له حسنات .

وحكم الاسلام في هذا الاعداد ، وأنه عبادة إذا قصد به وجه الله تعالى ، يقتضي أن لا يمنع أي فرد من المسلمين من اقتناء السلاح لاستعماله في الجهاد عند الحاجة إليه ، والحاجة إليه في مجتمع الإسلام قائمة على الدوام ، لأنه مجتمع مجاهد ، يبتغي اعلاء كلمة الله دائما ، وحماية دعوة الله عز وجل من أعدائها . ولأن العدو قد يفاجيء منطقة من مناطق الاسلام ، فيجب على أهلها الدفاع عنها ، ويكون ذلك فرض عين على كل مسلم قادر في هذه المنطقة ، حتى إذا عجزت عن صد العدوان ، كان أهل المنطقة المجاورة مكلفين بامداد اخوانهم وتحقيق الكفاية لصد العدوان ، وهكذا حتى يصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم قادر ، على أي بقعة من الأرض وجد . فيحرم في شرع الله أن يحرم المسلمون من السلاح ، وخاصة بعد ما تطورت الأسلحة الحديثة ، ولو أن

المسلمين أخذوا بهذا التوجيه الاسلامي في حروبهم مع أعدائهم في هذه الأيام ، لما استطاع العدو أن يأخذ شبرا من أراضيهم .

ب ــ وأما التدرب على السلاح فيدخل في عموم الآية السابقة أيضا ، ويدخل فيه التدرب على جميع أنواع الأسلحة من رماية وطيران وغيرهما ، وتعلم الأساليب العسكرية ، ودراسة الخطط العسكرية في الدفاع والهجوم ، ونحو هذا . وقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة في الحث على الرمي والتدرب عليه ، من ذلك :

قوله عليه الصلاة والسلام مفسرا الآية الكريمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . . » : « ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي »[١١٦] .

وقوله : « ارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا ، ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا »[١١٧] .

وقوله : « كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل ، إلا رميه بقوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته امرأته ، فإنهن من الحق »[١١٨] .

وقوله « ستفتح عليكم أرضون ، ويكفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بسهمه »[١١٩] .

وقوله « ارموا بني اسماعيل ، فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بني فلان » فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال (مالكم لا ترمون ؟) قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ارموا فأنا معكم كلكم »[١٢٠] .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومنبله . .[١٢١] »

وإذا كان السيف والقوس والرمح هي الاسلحة المعروفة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ما جاء من الأحاديث يتناول كل سلاح يخترعه البشر ، وهو داخل في عموم قوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . .** ﴾ ، وقد جاء النص بصيغة الأمر ، وهو للوجوب ، فيكون صنع الاسلحة والتدرب عليها ، وحيازتها ، وادخارها للجهاد أمورا مفروضة على المسلمين ، فإن تخلفوا عنها ، أثموا جميعا .

هذا ويدخل في التدريب والاعداد تربية أفراد الأمة على الشدة وصلابة العود ، والصبر على

المشاق ، وابعادهم عن الترف والميوعة والترهل ، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الشام : ائتزروا وارتدوا وانتعلوا وألقوا الخفاف ، وارموا الأغراض ، وألقوا الركب ، وانزوا نزوا على الخيل ، وعليكم بالمعدية ، ودعوا التنعم ، وزي العجم ، ولا تلبسوا الحرير ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه)[١٢٢] . وكتب أيضا يقول (لن تخور قوى ما كان صابحها ينزع وينزو) يعني : ينزع في القوس ، وينزو على الخيل من غير استعانة بالركب[١٢٣] ، وكتب أيضا لأهل حمص : (علموا أولادكم الرماية والفروسية والسباحة واختفوا بين الأغراض ، وتمعددوا[١٢٤] ، واخشوشنوا ، واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم ، وارموا الأغراض ، وانزوا على الخيل نزوا)[١٢٥] . وكان هو يأخذ بيده اليمنى أذنه اليمنى ، وبيده اليسرى أذن فرسه اليسرى ، ثم يجمع جراميزه ، ويثب ، فكأنما خلق على ظهر فرسه[١٢٦] .

جـ ــ وأما الرباط في الثغور ، وحشد الجنود على الحدود مع الأعداء ، فهو واجب على الأمة الاسلامية ، يقول الشيرازي في المهذب (يجب على الامام أن يشحن ما يلي الكفار بجيوش يكفون من يليهم ، ويستعمل عليهم أمراء ثقات ، من أهل الاسلام المدبرين ؛ لأنه إن لم يفعل ذلك ، لم يؤمن إذا توجه في جهة الغزو أن يدخل العدو من جهة أخرى ، فيملك بلاد الاسلام[١٢٧] .

وإذا كان هذا هو واجب الامام المسلم ؛ حيث ينوب عن الأمة التي بايعته على تحقيق كفايات الاسلام ، فإن من واجب الأفراد أن يسارعوا ولا يهملوا في الرباط ، والسهر على ثغور الاسلام . وقد رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا العمل ، وبين عليه الصلاة والسلام أنه من أعظم القرب التي يتقرب بها إلى الله تعالى ، قال عز وجل ﴿ **يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ آل عمران ـ الآية ٢٠٠ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها »[١٢٨] . وقال أيضا « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله »[١٢٩] . وما أكثر الأحاديث التي اعتبر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم هذا العمل من أحسن العبادات ، وأكثرها أجرا عند الله تعالى .

فيعلم مما تقدم أن على الامام أن يسهل لكل مسلم يريد أداء هذه العبادة الاسلامية ، وأن لا يمنعه من ذلك ، فإن فعل كان من الذين يصدون عن سبيل الله ، وعن أداء فرائضه التي فرضها على عباده .

ويقتضي هذا أنه لا يجوز أن تخلو جبهات المسلمين وثغورهم في أية لحظة من عدد كاف من المرابطين ، فإذا لم تحصل الكفاية أثم المسلمون جميعا ؛ فإن كان السبب يعود إلى الإمام ، ومنعه

المسلمين من الرباط والجهاد تحمل هو معظم الوزر . وإن كان السبب من الأفراد كان على الإمام أن يجبر بعضهم على الرباط ، مراعيا العدل بينهم في الاختيار . ويصبح الرباط فرض عين على كل من انتدبه الامام ؛ لأن الجهاد يصبح فرض عين على من يعينه الامام لذلك[١٣٠] لقوله عليه الصلاة والسلام « وإذا استنفرتم فانفروا »[١٣١] ، والرباط عمل من أعمال الجهاد ونوع من أنواعه .

د ــ كذلك يدخل في الاعداد اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتعويق العدو ودفعه ، إذا باغت المسلمين : من إحكام الحصون ، وحفر الخنادق وبناء القلاع ووسائل المراقبة[١٣٢] . وفي غزوة الاحزاب حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الخندق ، وقال البراء بن عازب رضي الله عنه : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل التراب ، حتى وارى التراب شعره ، وهو يرجز عبد الله بن رواحه[١٣٣] رضي الله عنه يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وهكذا يتبين مما تقدم أن أمة الاسلام أمة مستعدة دائما لما يكفي لصد أي عدوان يقع عليها ، وتأديب المعتدين . وإن تلك التعاليم والتوجيهات الربانية لتجعل هذا الأمر في الأمة الاسلامية طبعا فيهم وخلقا ؛ بحيث لا تغفل عن عدوها لحظة واحدة ، ولا تأمن له مهما كان حاله ؛ فإن ذلك ، كما أخبر الله تعالى خير وسيلة لارهاب العدو وصدهم عن العدوان ، وهزيمتهم .

وليس ما تقدم من ذكر وجوه الاعداد حصرا لها ، بل الأوامر عامة والقاعدة شاملة ، ومؤداها تكليف الأمة الاسلامية بتحقيق حالة من الكفاية في السلاح والتدريب والاعداد للدفاع عن الدعوة الاسلامية ، وتحقيق أهدافها بالطرق الربانية .

خاتمة
دلالات مهمة للبحث

ان ما تضمنه البحث من الحقائق النظرية والواقعية ليعطينا كثيرا من الدلالات على طريق الخلاص من حالة الهزيمة والخذلان التي صار اليها المسلمون في هذا الزمان ، منها :

اولا : تكشف لنا تلك الحقائق عن السر الكامن وراء النصر الذي ظل حليفا للمسلمين خلال قرون متطاولة من الزمان ، بالرغم من قوة الاعداء وتنوعهم ، وتنوع أساليبهم وخططهم العسكرية ، وكثرة جندهم ووفرة عُددهم .

فإن العقيدة الربانية التي جاء بها دين الاسلام ، واسكنها في قلوب المسلمين وعقولهم ، وكذلك توجيهاته ونظمه ، وقيمه وموازينه التي سلمها لهم ، ليحكموها في حياتهم ، كل ذلك كان وراء جميع الخوارق والمعجزات والبطولات والانتصارات . وليس هناك من اسباب غير هذه الاسباب ، ولا دوافع غير هذه الدوافع . ومن يدعي غير ذلك ويختلق للتاريخ تفسيرات غير هذه التفسيرات ، فانما يفتري ذلك ، بدافع الحقد على الاسلام ، والكيد للمسلمين ، وابعادهم عن نبع القوة ، وأسباب النصر ، لتظل سبيله ممهدة لاستعمار الارض ، واستعباد الناس والاستعلاء والاستكبار عليهم ، وتحقيق اطماعه وشهواته .

ثانيا : تدل تلك الحقائق على انه ليس لامتنا الاسلامية طريق للخلاص من الذل والهزائم المتلاحقة التي حلت بها ، سوى طريق واحد ، هو ان تحمل بصدق الاسلام عقيدة وتربية وانظمة . والذين يبتغون الخلاص بغير الاسلام ، انما يطيلون امد السبات ، ويضارون على الطريق الصحيح للنجاة .

ثالثا : تكشف لنا تلك الحقائق عن سبب خوف الاعداء من الاسلام ومن عودته الى حياة المسلمين ، وعن سبب موقفهم العدائي التنكيلي من كل داعية الى الاسلام ، ومن أية محاولة جادة لتحكيمه في البلاد الاسلامية . كما يفسر لنا اسلوبهم المستمر في التشكيك في عقائد الاسلام ومبادئه وأحكامه واعلامه المؤثرين في تاريخ الامة الاسلامية .

ليس هناك من سبب لكل ذلك سوى ادراكهم لدور الاسلام في بعث الحياة في الشعوب الاسلامية ، وتقويتها ، وتأهيلها للرد على اي عدوان يقع عليها ، بل تأهيلها لقيادة العالم نحو الخير والعدل والصلاح ، وبالتالي الوقوف امام أطماع الطامعين في السيطرة على الشعوب ومقدراتها .

رابعا : تعطينا تلك الحقائق التي وردت في البحث ميزانا سليما صائبا ، نميز به الصادقين في دعوى الحرص على الامة والاوطان من اولئك الكاذبين المخادعين الذين يرفعون شعارات حب القوم والاوطان وهم يقفون امام عودة الاسلام متكاتفين في ذلك مع العدو الخارجي ، الذي تقوم خططه في مواجهتنا على إبعادنا عن مصدر قوتنا وهو الإسلام ، بما فيه من عقائد وتربية ونظم ، فبعد ان عرف دور الاسلام في تأهيل الامة للجهاد ، افرادا وجماعات ، لا يجوز عقلا ولا مصلحة أن يوصف شخص بحب الوطن والقوم ، وهو يعادي ذلك الدين ، او ان يشهد لجماعة بالعمل من أجل الاوطان ، وهي تقف مع العدو الاجنبي في مواجهة الاسلام .

الهوامش والمراجع

١ ــ انظر : ابن تيمية ـ العبودية ص ٥١ . طبع القاهرة ـ مطبعة المدني

٢ ــ نفسه ص ٢٠

٣ ــ صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ـ انظر : النووي ـ رياض الصالحين ص ٢٠٧ ـ المطبعة اليوسفية ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

٤ ــ انظر : برتوكولات حكماء صهيون ص ٧٠ ، ٨٦ ، ٩٥ مطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٥١م .

٥ ــ محمود شيت خطاب ـ الاسلام والنصر ص ١١٣ ـ الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م ـ دار الفكر.

٦ ــ عبد الله التل ـ جذور البلاء ـ القسم الاول ص ٢٧٦ ـ دار الارشاد للطباعة والنشر ـ بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٠هـ / ١٩٧١ ، جلال العالم ـ قادة الغرب يقولون ص ٥٢ ـ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م ، وانظر في التخطيط للسيطرة على العالم الاسلامي : محمود شاكر ـ العالم الاسلامي ومحاولة السيطرة عليه ومحمد محمود الصواف ـ المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام .

٧ ــ محمود شيت خطاب ـ الرسول القائد ص ٤٦٤ ـ نشر دار العلم ـ الطبعة الثالثة ـ مطابع دار العلم .

٨ ــ عبد الله بن المبارك ـ الجهاد ص ٩٤ ـ تحقيق نزيه حماد ـ طبعة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م . بيروت .

٩ ــ ابن كثير ـ السيرة النبوية جـ ٢ ص ٢٤١ مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٥هـ / ١٩٦٤م .

١٠ ــ السرخسي ـ المبسوط ـ جـ ١٠ ص ٢٣ طبع مطبعة السعادة ـ مصر الطبعة الاولى سنة ١٣٢٤ هـ .

١١ ــ ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ٣٨٧ ، (طبع دار احياء الكتب العربية بمصر) الطبري ـ التفسير جـ١٤ ص ٤٦٩ تحقيق محمود شاكر ـ نشر دار المعارف ـ القاهرة .

١٢ ــ صمدت نحوه : قصدت الى جهته .

١٣ ــ ابن هشام ـ سيرة النبي جـ٢ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ـ مطابع شركة الاعلانات الشرقية ـ القاهرة سنة ١٣٨٢هـ

١٤ ــ كامل الدقس ـ آيات الجهاد ص ١٣٤ ـ طبع دار البيان ـ الكويت ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م .

١٥ ــ محمود شيت خطاب ـ ارادة القتال في الجهاد ص٢٥ طبع سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م ـ الطبعة الثانية / دار الفكر .

١٦ ــ انظر مزيدا من التفصيل والتوضيح لهذا الاثر الايماني عند سيد قطب في معالم في الطريق ص ١٦٣ ـ ١٧٢ طبع ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .

١٧ ــ ابو جعفر الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص ٤٩٨ وما بعدها ـ مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢م ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم

١٨ ــ الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص ٥١٩ وما بعدها .

١٩ ــ وفي ذلك اخبار صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها ما رواه أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس اجمعين » ـ اخرجه البخاري ومسلم ـ انظر ابن الجوزي ـ الوفا باحوال المصطفى جـ١ ص ٣٨٢ الطبعة الاولى ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ـ مطبعة السعادة بمصر .

٢٠ ــ رواه البخاري ـ انظر فتح الباري جـ٦ ص ٢٣ ـ المطبعة البهية المصرية ١٣٤٨هـ .

٢١ ــ رواه الطبراني والبيهقي ـ انظر الحافظ المنذري ـ الترغيب والترهيب جـ٢ ص ٢٧٢ ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٢٢ ــ نقل ذلك محمود شيت خطاب في كتابه (الاسلام والنصر) ص ١٢٤ ـ الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ دار الفكر .

٢٣ ــ اخرجه البخاري ـ فتح الباري جـ ٦ ص ٢٠ ، ٢١ ، وانظر الجهاد لابن المبارك ص ٧٢ .

٢٤ ــ انظر فتح الباري جـ٧ ص ٣١١ ، وانظر : محمد يوسف الكاند هلوي ـ حياة الصحابة جـ١ ص ٥٤٥ ـ دار النصر للطباعة ـ القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

٢٥ ــ انظر فتح الباري جـ٧ ص ٢٨٥ ، والكاندهلوي ـ حياة الصحابة جـ١ ص ٥١٩ ، والمنذري ـ الترغيب والترهيب جـ٢ ص٣١٢ .

٢٦ ــ علي برهان الدين الحلبي ـ السيرة الحلبية جـ٢ ص ٤١١ ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م وخير عمير اختاره النووي في كتابه رياض الصالحين ـ انظر : محمد بن علان الصديقي ـ دليل الفالحين جـ٤ ص ١١٨ ، ١١٩ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .

٢٧ ــ رواه مسلم ـ رياض الصالحين ـ الحديث رقم ٢٧ ـ انظر : نزهة المتقين جـ١ ص ٥٩ الطبعة الاولى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ـ بيروت .

٢٨ ــ يقول سيد قطب في ظلال الآيتين من سورة الحديد ، المشار إليهما في متن البحث (وقيمة هذه الحقيقة ـ أي حقيقة كون كل مصيبة مكتوبة عند الله عز وجل قبل وقوعها ـ التي لا يتصور العقل غيرها حين يتصور حقيقة الوجود الكبرى ، قيمتها في النفس البشرية ان تسكب فيها السكون والطمأنينة عند استقبال الاحداث خيرها وشرها ، فلا تجزع الجزع الذي تطير به شعاعا وتذهب معه حسرات عند الضراء ، ولا تفرح الفرح الذي تستطار به وتفقد الاتزان عند السراء . . . فاتساع افق النظر والتعامل مع الوجود الكبير وتصور الأزل والأبد ورؤية الأحداث في مواضعها المقدرة في علم الله ، الثابتة في تصميم هذا الكون ، كل أولئك يجعل النفس أفسح وأكبر وأكثر ثباتا ورزانة في مواجهة الاحداث العابرة حين تتكشف للوجود الانساني وهي مارة به في حركة الوجود الكوني . . .) ثم يقول (ووجه الصلة بين الحقيقة السابقة وبين الاختيال والفخر ، ثم بين هذا وذلك وبين البخل والأمر بالبخل ، هو أن من يشعر بأن كل ما يصيبه هو من أمر الله ، لا يختال ولا يفخر بما يعطاه ، ولا يبخل ولا يأمر بالبخل في عطاء ، فأما الذي لا يشعر بتلك الحقيقة فيحسب ان ما يؤتاه من مال وقوة وجاه،هو من كسبه فيفخر ويختال به ، ثم يبخل كذلك ببذل شيء منه ، ويحث غيره على البخل ليحقق مبدأه ومنهجه !) في ظلال القرآن ـ المجلد السابع ص ٧٣٧ ، ٧٣٨ الطبعة الخامسة ـ بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

٢٩ ــ تجد كثيرا من المعاني الجهادية ـ وبخاصة معنى الثبات على المبدأ في ظلال سورة البروج من تفسير سيد قطب (في ظلال القرآن) .

٣٠ ــ قصة أصحاب الأخدود رواها مسلم في كتاب الزهد والرقائق (باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام) ، وقد ضمنها النووي كتابه (رياض الصالحين) ـ الحديث رقم ٣٠ ـ انظر نزهة المتقين لمجموعة من المؤلفين جـ١ ص ٦٢ ـ ٦٥ .

٣١ ــ انظر : محمد نعيم ياسين ـ الايمان (اركانه وحقيقته ونواقضه) ص ٣٦ ، ٣٧ ، الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ـ عمان .

٣٢ ــ اخرجه الترمذي وقال عنه : حسن صحيح غريب ـ انظر صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي المسمى (عارضة الاحوذي) جـ٧ ص ١٦٤ ـ دار العلم للجميع ـ بيروت .

٣٣ ــ ابن قيم الجوزية ـ زاد المعاد جـ٢ ص ٦٢ طبع المطبعة المصرية .

٣٤ ــ رواه الامام احمد ـ انظر : مسند الامام احمد جـ٦ ص ٢١ ـ المطبعة الميمنية بمصر

٣٥ ــ انظر : علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ـ أخبار عمر ص ٢٨٥ ـ الطبعة الاولى ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م ـ مطابع دار الفكر بدمشق .

ومما شهد به الاعداء في اخلاق المقاتلين المسلمين وصدقهم وتقواهم وصبرهم انه قدمت منهزمة الروم على هرقل وهو بأنطاكية ، فدعا رجالا من عظمائهم فقال : ويحكم أخبروني ما هؤلاء الذين تقاتلونهم ؟ أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا : بلى « يعني العرب » . وقال : فانتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن اكثر منهم اضعافا في كل موطن . قال : ويلكم ! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا ، فقال شيخ منهم : أنا أخبرك ايها الملك من أين يؤتون . قال : اخبرني . قال : اذا حملنا عليهم صبروا واذا حملوا علينا صدقوا ، ونحمل عليهم فنكذب ، ويحملون علينا فلا نصبر . قال : ويلكم فما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون ؟ قال الشيخ : ما كنت اراك الا وقد علمت من أين هذا ؟ قال له : من اين هو ؟ قال : لان القوم يصومون بالنهار ويقومون الليل ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون احدا ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بما يسخط الله ، وننهى عما

يرضي الله ونفسد في الأرض . قال : صدقتني ، والله لاخرجن من هذه القرية فما لي في صحبتكم خير وانتم هكذا . قالوا : نشهدك الله ايها الملك ، تدع سورية وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يؤت عليهم . انظر : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ـ عيون الاخبار جـ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ـ نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٣٦ ـ ابن قيم الجوزية ـ زاد المعاد في هدى خير العباد جـ١ ص ٢٩٣ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤هـ .

٣٧ ـ انظر : محمود شيت خطاب ـ الاسلام والنصر ص ١١٢ ، ١١٣ ، وانظر مدى تخوف اليهود من المتدينين في برتوكولات حكماء صهيون ص ١٣٨ ، وانظر ايضا محمود شاكر ـ العالم الاسلامي ومحاولة السيطرة عليه ص ٥٥ ـ ٥٧ ـ الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

٣٨ ـ انظر محمد جمال الدين محفوظ ـ المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ نقلا عن كتاب « الحرب عبر التاريخ » لمنتجمري .

٣٩ ـ المرجع نفسه ص ٢٥٧ .

٤٠ ـ انظر المرجع نفسه ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

٤١ ـ انظر : فتح الباري جـ٦ ص ١٢ ، ١٣ ، رواه مسلم ـ انظر المنذري ـ الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٣١١ . وهو في الموطأ للامام مالك بن انس ص ٣٨٥ طبعة كتاب الشعب .

٤٢ ـ رواه مسلم وابو داود والنسائي ـ انظر : صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٣ ص ٥٦ المطبعة المصرية ـ مصر ، والترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٣٣٠ .

٤٣ ـ رواه مسلم وابو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه ـ انظر الترغيب والترهيب جـ٢ ص ٢٧٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووي جـ١٣ ص ٥٦

٤٤ ـ رواه مسلم ـ انظر صحيح مسلم النووي جـ١٣ ص ٥٥ .

٤٥ ـ اخرجه البخاري عن زيد بن اسلم عن عمر : انظر : الكاندهلوي ـ حياة الصحابة جـ ١ ص ٥٢٤ وانظر الموطأ للامام مالك ص ٢٨٦ .

٤٦ ـ عبد الله بن المبارك ـ الجهاد ص ٧٣ ، ٧٤ الكاندهلوي ـ حياة الصحابة جـ١ ص ٥٢٥ .

٤٧ ـ الكاندهلوي ـ حياة الصحابة جـ١ ص ٥٢٩ .

٤٨ ـ اخرجه ابن عساكر ـ انظر الكاندهلوي ـ حياة الصحابة جـ ١ ص ٤٦١ .

٤٩ ـ عبد الله بن المبارك ـ الجهاد ص ٩١ .

٥٠ ـ المرجع نفسه .

٥١ ـ محمود شيت خطاب ـ الاسلام والنصر ص ٤٠

٥٢ ـ اخرجه البخاري ـ انظر : فتح الباري جـ١١ ص ١٤٩ .

٥٣ ـ أي حجر الكعبة .

٥٤ ـ غمزوه اي طعنوا فيه بالقول .

٥٥ ـ وصاه : وصية ، يعني الذين كانوا يحرضون عليه ويوصون بايذائه .

٥٦ ـ يرفؤه : يترضاه ويهدئه ويسكنه .

٥٧ ـ عبد الملك بن هشام ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم جـ١ ص ٣١٠ ، ٣١١ طبع القاهرة سنة ١٣٨٣هـ ، ابن كثير ـ السيرة النبوية جـ١ ص ٤٧١ ، ٤٧٢ .

٥٨ ـ انظر : محمد جمال الدين محفوظ ـ المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية ص ٢٨٢ . محمود شيت خطاب ـ الرسول القائد (الملحق ل ـ الغزوات التي قادها الرسول بنفسه) ص ٤١٢ ـ ٤١٨ . وانظر المرجع نفسه ص ٤٢٣ .

٥٩ ـ ابن الجوزي ـ الوفا بأحوال المصطفى جـ٢ ص ٤٤٣ .

٦٠ ـ نفسه ، وانظر محمد جمال الدين محفوظ ـ المدخل الى العقيدة ص ٢٨٢ ، ومحمود شيت خطاب ـ الرسول القائد ص ٤٣١ .

٦١ ــ نفسها .

٦٢ ــ اخرجه مسلم ـ انظر : صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٥ ص ٦٧ . واخرجه البخاري ـ انظر فتح الباري جـ٦ ص ٢٧ .

٦٣ ــ اخرجه ابن المنذر والطبراني والحاكم والبيهقي ـ انظر : الكاندهلوي جـ١ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

٦٤ ــ انظر : المنذري ـ الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٢١٥ .

٦٥ ــ انظر المنذري ـ الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٢١٥ .

٦٦ ــ انظر : الكاندهلوي ـ حياة الصحابة جـ١ ص ٣١٩ .

٦٧ ــ انظر : ابن حجر ـ فتح الباري جـ٧ ص ٣١٧ ، والكاندهلوي ـ حياة الصحابة جـ١ ص ٣٢٠ .

٦٨ ــ فأطلت : من الطل وهو المطر الخفيف .

٦٩ ــ انظر : ابن كثير ـ السيرة النبوية جـ٤ ص ١٦ ، وابن القيم ـ زاد المعاد جـ٣ ص ٤ طبع المطبعة المصرية .

٧٠ ــ انظر : الكاندهلوي ـ حياة الصحابة جـ١ ص ٣٢٥ .

٧١ ــ المرجع نفسه جـ١ ص ٣٢٦ ، والاذخر حشيشة طيبة الريح .

٧٢ ــ ابن كثير ـ السيرة النبوية جـ٣ ص ٩٨ ، علي بن برهان الدين الحلبي السيرة الحلبية جـ٢ ص ٥٥٢ وفيها ان الذين خرجوا خلف قريش بعد غزوة أحد الى حمراء الاسد هم الذين حضروا احدا ، وانهم خرجوا وبهم الجراحات ، ولم يلتفتوا الى معالجة جراحاتهم ، فمنهم من كان به تسع جراحات وهو أسيد بن حضير رضي الله عنه ، وعقبة بن عامر رضي الله عنه ، ومنهم من كان به عشر جراحات ، وهو خراش بن الصمة رضي الله عنه ، ومنهم من كان به بضع عشرة جراحة ، وهو كعب بن مالك رضي الله عنه ، ومنهم من كان به بضع وسبعون جراحة وهو طلحة بن عبد الله وقطعت اصبعه ، وشلت بقية اصابع يده ، ومنهم من كان به عشرون جراحة وهو عبد الرحمن بن عوف ، وخرج معهم الرسول عليه الصلاة والسلام وهو مجروح ، وفي وجهة أثر الحلقتين ومشجوج في وجهه ومكسورة رباعيته .

٧٣ ــ ابن القيم ـ زاد المعاد جـ٢ ص ٩٦ طبع المطبعة المصرية ، الكاندهلوي حياة الصحابة جـ١ ص ٣٣٣ .

٧٤ ــ انظر محمود شيت خطاب ـ الاسلام والنصر ص ٤٤ .

٧٥ ــ عبد الحليم محمود ـ الجهاد والنصر ص ١٢٣ . وانظر الطبري ـ التفسير (جامع البيان) جـ٥ ص ٥١٢ ـ ٥١٤ طبع دار المعارف بمصر .

٧٦ ــ رواه ابن ماجه ـ انظر المنذري ـ الترغيب والترهيب جـ٢ ص ٢٥٣ .

٧٧ ــ انظر : محمود شيت خطاب ـ الاسلام والنصر ص ٣٩ ، ٤٠ ، محمد جمال الدين محفوظ ـ المدخل الى العقيدة الاستراتيجية العسكرية الاسلامية ص ٢٣٤ .

٧٨ ــ رواه مسلم ـ انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ٢٢٣

٧٩ ــ رواه البزار باسناد صحيح ـ انظر الشوكاني ـ نيل الاوطار

٨٠ ــ انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ٢٢٨ .

٨١ ــ المرجع ذاته جـ١٢ ص ٢٢٥

٨٢ ــ انظر : الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص ٤٣٧ وجـ ٤ ص ٦٦ـ٦٨

٨٣ ــ رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ـ انظر : الترغيب والترهيب جـ٣ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ . وانظر : ابن حجر العسقلاني بلوغ المرام من ادلة الاحكام ص ٢٦١ طبع ١٣٥٢هـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٨٤ ــ انظر : سيد سابق ـ عناصر القوة في الاسلام ص ١٩٢ ـ الطبعة الاولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ـ مصر

٨٥ ــ رواه مسلم ـ انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ١٣٧

٨٦ ــ رواه البخاري ومسلم ـ انظر : اللؤلؤ والمرجان ـ حديث رقم ٢٨

٨٧ ــ رواه مسلم ـ انظر النووي ـ رياض الصالحين ص ١١٩ طبع مصر سنة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م (المطبعة اليوسفية) وابن حجر العسقلاني ـ بلوغ المرام ص ٢٩٩ ، ٣٠٠

٨٨ ــ أخرجه مسلم ـ انظر بلوغ المرام ص ٣٠٤

٨٩ ــ انظر تفصيل حوادث المؤاخاه بين المهاجرين والانصار عند ابن هشام ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم جـ٢ ص ١٢٣ وما بعدها طبع القاهرة ١٣٨٣هـ (كتاب التحرير) ، وعند ابن كثير ـ السيرة النبوية جـ٢ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٩ .

٩٠ ــ رواه البيهقي وعبد الرزاق والحاكم ـ انظر : محمد رشيد رضا ـ تفسير المنار جـ ١٠ ص ٨٢ طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٤٩هـ ، وابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ٣٢٣ .

٩١ ــ اخرجه ابو داود ـ انظر : سنن ابي داود جـ٣ ص ٧٩٩ طبع استنبول .

٩٢ ــ بنو قيلة : هم الأنصار من الأوس والخزرج ، وقيلة اسم أم لهم قديمة هي قيلة بنت كاهل .

٩٣ ــ أي جديدة كما بدأت ، والجذع والجذعة الصغير السن من الأنعام . يعني أعدناها شابة فتية .

٩٤ ــ المقصود بالظاهرة : حرة المدينة .

٩٥ ــ انظر الطبري ـ التفسير جـ٧ ص ٥٥ ، ٥٦ .

٩٦ ــ انظر : محمود شاكر ـ العالم الاسلامي ومحاولة السيطرة عليه ص ٥٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .

٩٧ ــ انظر تفصيلا لحكم موالاة الكفار عند محمد نعيم ياسين ـ الايمان ص ١٤١ وما بعدها .

٩٨ ــ انظر : علي بن برهان الدين الحلبي ـ السيرة الحلبية جـ٢ ص ٤٧٥ .

٩٩ ــ اخرجه الجماعة إلا ابن ماجه ـ انظر ابن كثير ـ التفسير جـ ٤ ص ٣٤٥ .

١٠٠ ــ انظر : ابو يعلى محمد بن الحسين الفراء ـ الاحكام السلطانية ص ٤٦ ـ الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م مطبعة البابي الحلبي بمصر .

١٠١ ــ انظر ابن كثير ـ التفسير جـ ٢ ص ٣٧٢ . والحلبي ـ السيرة الحلبية جـ٣ ص ١٢ .

١٠٢ ــ الحلبي ـ السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٦٦٥ ، ٦٦٦ .

١٠٣ ــ نفسه جـ٣ ص ٦ ، ٧ .

١٠٤ ــ رواه ابن عبد البر في الاستيعاب والحاكم ـ انظر الكاندهلوي ـ حياة الصحابة جـ ١ ص ٤٦٣ . وقريب منه عند عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري عيون الاخبار ـ المجلد الاول جـ١ ص ٨٥ ـ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، وانظر : الطنطاويين على وناجي ـ اخبار عمر ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ نقلا عن ابن الجوزي في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه طبعة ١٣٧٩هـ .

١٠٥ ــ انظر : الحلبي ـ السيرة الحلبية جـ٣ ص ١٢٤ وما بعدها . والطبري التفسير جـ ١٤ ص ٥٤٩ وما بعدها .

١٠٦ ــ انظر المرجعين ذاتهما .

١٠٧ ــ انظر بعض ذلك عند محمد نعيم ياسين ـ الجهاد ميادينه واساليبه ، حيث خصص لبيان انواع الجهاد وميادينه ومجالاته ووسائله .

١٠٨ ــ انظر رسالة ايها الولد ص ٢٦ ، ٢٧ ـ مطبعة المعارف ـ بغداد .

١٠٩ ــ انظر مثلا : تلبيس ابليس لابن الجوزي ، واغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ، وعالم الجن والشياطين لعمر الاشقر .

١١٠ ــ انظر : محمد نعيم ياسين ـ الجهاد (ميادينه واساليبه) ص ١٨٠ ، ١٨١ ـ الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م عمان .

١١١ ــ مثل كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني ، ومن أحدث الكتب المؤلفة في هذا الموضوع كتاب القتال في الاسلام ـ أحكامه وتشريعاته لمحمد بن ناصر بن عبد الرحمن الجعوان . وفي كل مصنف من المصنفات الفقهية القديمة يوجد كتاب خاص لبيان احكام الجهاد بمفهومه الخاص ، اي القتال .

١١٢ ــ انظر تفصيل موضوع الاعداد للقتال في الاسلام عند محمد بن ناصر الجعوان القتال في الاسلام ـ احكامه وتشريعاته ـ دراسة مقارنة ص ٧٠ ـ ٨٩ ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ـ الرياض .

١١٣ ــ ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى ـ المجلد ٢٨ ص ١٢ ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ ، مطابع الرياض .

١١٤ ــ انظر : محمود شيت خطاب ـ الرسول القائد ص ٣٥ ، ٣٦ ، ومحمد بن ناصر الجعوان ـ القتال في الاسلام ص ٧٧ وما بعدها .

١١٥ ــ رواه البخاري والنسائي وغيرهما ـ انظر : الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٢٥٨ .

١١٦ ــ اخرجه مسلم وغيره ـ انظر : صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٣ ص ٦٤ .
١١٧ ــ انظر ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى ـ المجلد ٢٨ ص ٩ ـ وقد ورد في هذا المعنى روايات اخرى . انظر : المنذري ـ الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٢٧٧ ، ٢٨٢ .
١١٨ ــ أورد هذه الرواية ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى المجلد ٢٨ ص ٩ وما بعدها واخرج الطبراني في الكبير ما هو قريب منه ، وزاد فيه « تعليم السباحة » من الأمور التي شرع اللهو بها ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٢٧٩ .
١١٩ ــ اخرجه مسلم ـ انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٣ ص ٦٤ .
١٢٠ ــ اخرجه البخاري ـ انظر فتح الباري جـ ٦ ص ٦٩ ، ٧٠ .

١٢١ ــ رواه ابو داود والنسائي والحاكم والبيهقي ـ انظر المنذري ـ الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
١٢٢ ــ ابن قتيبه الدينوري ـ عيون الاخبار ـ المجلد الاول جـ ٢ ص ١٣٢ .
١٢٣ ــ المرجع ذاته المجلد الاول جـ ٢ ص ١٣٣ .
١٢٤ ــ تمعددوا : أي تشبهوا بمعد في خشونة المطعم والملبس وتصلبوا ـ انظر أساس البلاغة للزمخشري .
١٢٥ ــ انظر : ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى ـ المجلد ٢٨ ص ٩ ، ١٠ ، ومحمد بن يوسف المواق ـ التاج والاكليل مطبوع مع مواهب الجليل جـ ٣ ص ٣٤٦ .
١٢٦ ــ الدينوري ـ عيون الاخبار المجلد الاول جـ ٢ ص ١٣٣ . والمواق التاج والاكليل جـ ٣ ص ٣٤٦ .
١٢٧ ــ ابراهيم بن علي الشيرازي ـ المهذب ـ جـ٢ ص ٢٩٩ ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر .
وانظر في هذا المعنى محمد بن احمد الشربيني القاهري ـ مغني المحتاج جـ ٤ ص ٢١٠ طبع سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م . بيروت ، وابن قدامة الحنبلي ـ المغني جـ ٩ ص ١٩٧ مطابع سجل العرب ـ الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
١٢٨ ــ رواه البخاري ومسلم الترمذي ـ انظر : الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٢٤٢ .
١٢٩ ــ اخرجه الترمذي ـ انظر صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي جـ ٧ ص ١٣٨ .
١٣٠ ــ محمد الحطاب ـ مواهب الجليل جـ٣ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ـ الطبعة الاولى بمصر سنة ١٣٢٩هـ / ابوبكر بن حسن الكشناوي ـ أسهل المدارك شرح ارشاد السالك جـ ٢ ص ٣ ، ٤ ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر . ابن قدامة ـ المغني جـ ٩ ص ١٩٧ ، ابن حزم الاندلسي ـ المحلى جـ ٧ ص ٢٩١ ـ المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر . على ابو الحسن الشاذلي ـ كفاية الطالب الرباني جـ ٢ ص ٣ ـ مطبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة .
١٣١ ــ جزء من حديث متفق على صحته . ـ انظر فتح الباري جـ ٦ ص ٣ .
١٣٢ ــ الشيرازي ـ المهذب جـ ٢ ص ٢٢٩ ، الشربيني الخطيب ـ مغني المحتاج جـ ٤ ص ٢١٠ .
١٣٣ ــ اخرجه البخاري ـ انظر فتح الباري جـ ٧ ص ٣٢٢ .